الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: ...../.....
رقم التسجيل: 1- 1335072218
2- 1335073161

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب حديث ومعاصر

بعنـوان:

سقوط النخبة في رواية شرفة الهاوية لإبراهيم نصر اللّه

إعـداد الطالبتين:
1- عيش سعاد
2- بوقرة إيمان

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

- لميش عبد الصمد	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	رئيسا
- ميداغين هشام	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	مشرفا ومقررا
- لعرباوي محمد	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: **2017/ 2018**

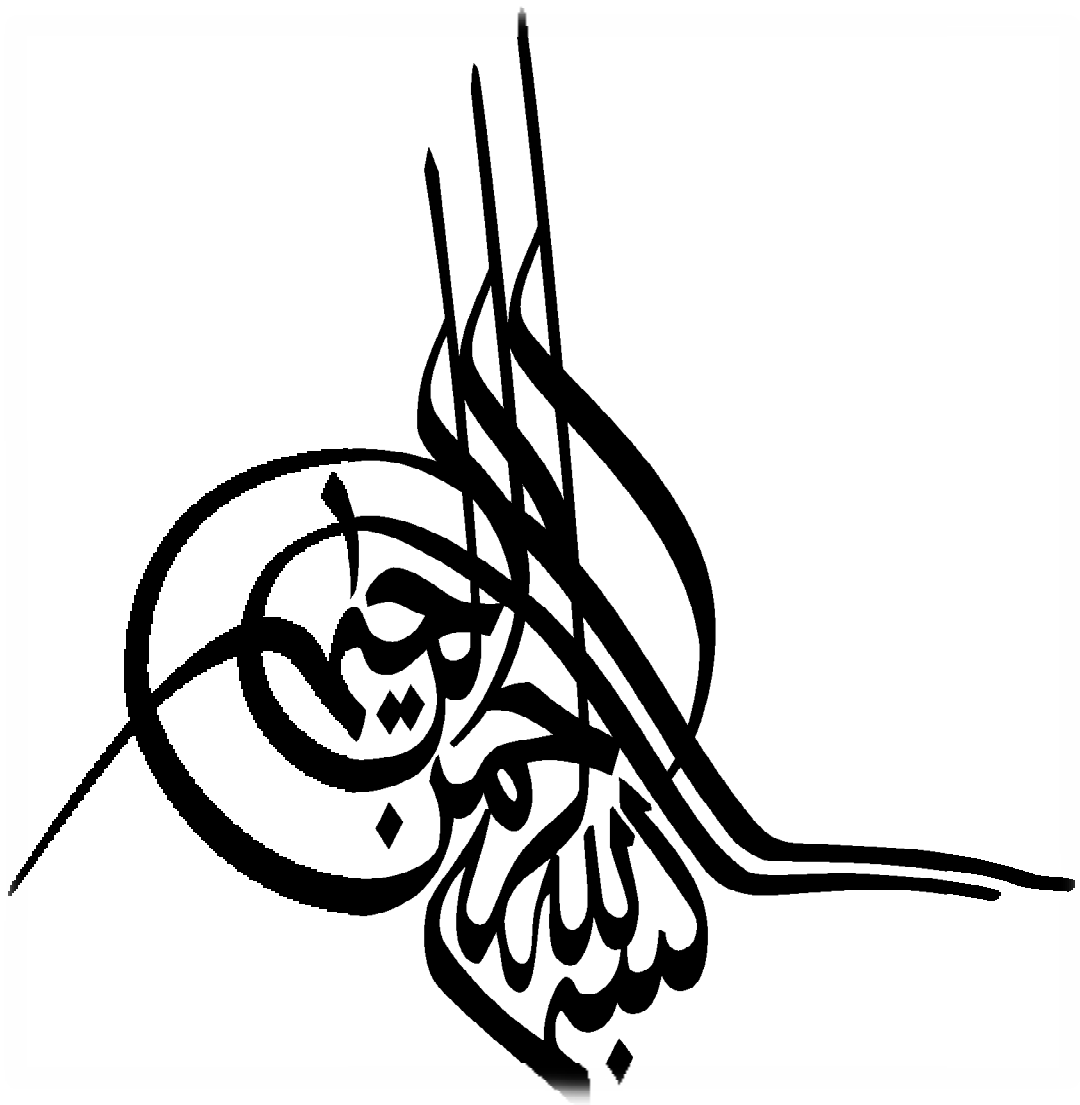
بسم الله الرحمن الرحيم

تشكرات :

في البداية لا تنسى أبدا توفيق الله لنا لأنه هو خير معين
وهو الأولى بالشكر و الحمد . نحن نخص بالشكر الأستاذ
المشرف " ميداغين هشام" بتشجيعه لنا على اختيار هذا
الموضوع و مساعدتنا على انجازه بتوجيهاته القيمة ،
فله منا أسمى عبارات الشكر و العرفان.
و الشكر موصول إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة
المناقشة الذين وافقوا على قراءة هذا البحث و تقييمه .
والى كل من قدموا لنا المساعدة عظيم الشكر و الامتنان

مـقدمـة

مقدمة

يشكل مفهوم النخبة منطلقا منهجيا في كل فهم لحركة التاريخ الإنساني، وما يعتمل فيه من أحداث، ويعول عليه كثير من المفكرين في مقاربة التكوينات السوسيولوجية للمجتمع، والخوض في عمق الظواهر الأيديولوجية للحياة السياسية الطبيعية في سياق تفاعلها وتكاملها، فالتاريخ الإنساني بما ينطوي عليه من تعقيدات وما يكتنفه من سيرورات لا يمكنه أن يرصد ويحلل ويفهم دون الخوض المعتمد في دور النخب التي تحرك المجتمع الإنساني، وتتحرك فيه في الآن الواحد لتشكل بفاعليتها ملمحا جوهريا من ملامح الحركة التاريخية في المجتمعات الإنسانية، وضمن هذا التصور فإن أي محاولة لفهم ديناميات الواقع الاجتماعي وصيرورة الحركة التاريخية لن تفلح مالم تنطلق من فهم عميق للدور التاريخي الهائل، الذي تمارسه النخب في توحيد الحياة الاجتماعية في مختلف تجلياتها.

ولقد حضر المثقف ويحضر باستمرار في الروايات العربية منذ تشكل الرواية عربيا، تبعا لقناعات، وخيارات، وخبرات، وتمثلات، وأغراض الروائي، والصورة الغالبة التي يمكن رصدها هي الاصطدام، اصطدام بالآخر بالمجتمع وبالسلطة وبالحقيقة والاصطدام يتباين من حالة لأخرى ومن الطبيعي أن رصد تلك الصورة يشكل مدخلا لفهم التحولات الاجتماعية، والتاريخية، والاقتصادية، التي طرأت على مجتمعاتنا العربية.

وعلى سبيل المثال تعد رواية "شرفة الهاوية" أحد أهم الروايات التي رصدت صورة المثقف في صراعه مع الأنظمة، صراع ينتهي دوما بانكسار المثقف أمام أدوات السلطة ومن هنا جاء عنوان بحثنا "سقوط النخبة في رواية شرفة الهاوية لإبراهيم نصر الله"

وهنا نطرح الإشكالية الآتية: كيف تجلى سقوط النخبة في رواية شرفة الهاوية؟

هذه الإشكالية تدفعنا إلى طرح التساؤلات الآتية:

- ما هو مفهوم النخبة؟ وما هي أهم المفاهيم الملتصقة به؟
- كيف بنى الروائي إبراهيم نصر الله شخصياته في الرواية؟
- وكيف كان تأثير كل شخصية في مصير المجتمع؟

ومن بين أهم الأسباب التي حفزتنا على اختيار هذا الموضوع نذكر منها:

- اهتمامنا بالبحث حول النخبة ورسالتها الكبرى في الحياة خاصة في الوقت الذي اهتزت فيه صورة المثقف.
- كون هذا الموضوع من المواضيع ذات الأهمية الحساسة والبالغة.
- إضافة عمل جديد حول هذا الموضوع.

ومن بين أهم الدراسات والأبحاث التي تناولت شخصية المثقف في الرواية العربية، نجد عبد السلام محمد الشاذلي تناول دراسة خاصة عن شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة فدرس هذه الشخصية في روايات طبعت خلال الفترة الممتدة من عام 1882 إلى عام 1952 وغيرها من الدراسات الأخرى.

ومن أهم المصادر والمراجع المعتمدة نذكر رواية "شرفة الهاوية" لإبراهيم نصر الله، وكتاب "الصفوة والمجتمع" لتوم بوتومور، وكتاب "المثقف والسلطة" لإدوارد سعيد، و"موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث" لعبد الله بريمي... وغيرها من المراجع الأخرى.

ولدراسة هذا الموضوع قدمنا عرضا تفصيليا يتكون من **مقدمة** تضمنت عناصر البحث وإشكالية، و**مدخل** تناولنا فيه مفهوم النخبة وأهم المفاهيم الملتصقة به، والتجربة الروائية لإبراهيم نصر الله، و**الفصل الأول** عنوناه بناء الشخصية في رواية شرفة الهاوية، وتناولنا فيه تعريف الرواية ومعماريتها وأيضا تطرقنا إلى إستراتيجية الرواية في شرفات نصر الله، بعدها درسنا الشخصيات، وأما **الفصل الثاني** فقد أفردناه لدراسة المثقف وكيف آل مصيره في النهاية وضمناه الحديث عن الحدث الروائي والسرد وتجلي الواقع الاجتماعي في الرواية وأيضا تحدثنا عن سقوط المثقف وأزماته.

وفي الأخير كانت **خاتمة** البحث التي جاءت خلاصة لكل ما ورد في البحث، وعرضنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة.

وأما المنهج المعتمد في الدراسة هو المنهج السوسيوبنائي كونه المناسب لدراستنا منهج سوسيولوجي (اجتماعي) كون الموضوع اجتماعي واقعي يدرس حالة المجتمع والبنائي كيفية بناء إبراهيم نصر الله شخصياته في الرواية.

ولا يخلو أي بحث من صعوبات ونذكر منها: تشعب الدراسات حول هذا الموضوع في العديد من المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية والأدبية...

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ ميداغين هشام على كل الملاحظات الدقيقة والتوجيهات السديدة التي قدمها لنا، فله منا فائق التقدير والاحترام ونتمنى أن نكون قد وفينا لتوجيهاته ونسأل الله التوفيق والرضا والسداد في الخطى إنه ولي ذلك والقادر عليه وحده.

المدخل:

حول مفهوم النخبة والتجربة الروائية

لإبراهيم نصر الله

تمهيد

أولا: _ مفهوم النخبة والمفاهيم الملتصقة به:

1/-النخبة: أ- لغة

ب- اصطلاحا

2/-الصفوة

3/-المثقف: أ- لغة

ب- اصطلاحا

4/-الأنتلجنسيا

ثانيا: نظرة حول التجربة الروائية لإبراهيم نصر الله :

1 /أ_ نبذة عن إبراهيم نصر الله

1 /ب_ أعماله وآثاره الشعرية والروائية

2 /_ التجربة الروائية لـــإبراهيم نصر الله

تمهيد:

يشكل مفهوم "النخبة" واحدا من المفاهيم السياسية العنيدة، التي تفرض نفسها في ميدان المقاربات السوسيولوجية على نحو يتميز بطابع الديمومة والاستمرارية، ولقد وظف هذا المفهوم تاريخيا كأداة منهجية، لتحليل الأوضاع الاجتماعية في أكثر تجلياتها، وتحليل العمق الاجتماعي لما ينطوي عليه من إشكاليات، وما يشتمل عليه من تقاطعات، وقد زاد الأمر تعقيدا التطورات الهائلة والتغيرات السريعة، التي شهدتها المجتمعات الإنسانية المعاصرة، منذ النصف الثاني من القرن العشرين، وذلك في مختلف جوانب الحياة السياسية، والاجتماعية.

ولعل مصطلح النخبة يعد من المصطلحات الأكثر رواجا و استخداما، وهو يحتل مكان الصدارة بين المفاهيم الموظفة في تحليل الأحداث التي تجري في المنطقة.

لكنه يعاني كثيرا من الضبابية والغموض، ويعود سبب ذلك إلى الاختلاف في التسمية، فهو اتخذ لنفسه تسميات عدة مثل: "السراة"، و"الصفوة"، "والنخبة المثقفة _ المثقف" "والنبلاء" ، و"النخبة السياسية" ، و"الأنتلجنسيا" .... وغيرها، وهذه التسميات هي تعبير عن مفهوم واحد عبر مراحل متعددة في التاريخ الإنساني.

أولا: مفهوم النخبة والمفاهيم الملتصقة به:

1/- النخبة:

أ- لغة: يومض مفهوم النخبة في اللغة بدلالة الانتخاب والاختيار والاصطفاء والانتقاء، وتكون النخبة بصيغة الجمع "نخبا" ترمز في أخص معانيها على السمو والارتفاع، لتدل على معنى الندرة والقلة متضمنة في ذاتها دلالات التميز ومعاني الصفاء والنقاء [1].

وقد جاء في لسان العرب لابن منظور: " نَخَبَ: انتخب الشيء اختاره، والنُّخْبَةُ: ما اختاره منه، ونُخْبَةُ القوم ونخبتهم: خيارهم، قال الأصمعي: يقال هم نُخَبَة القوم بضم النون وفتح الخاء... ويقال: جاء في نُخَب أصحابه أي في خيارهم، ونخبته أنخبه: إذا نزعته، والنخب: النزع، والانتخاب: الانتزاع. والانتخاب: الاختيار والانتقاء، ومنه النخبة: وهم الجماعة تختار من الرجال فتنتزع منهم"[2].

وجاء في القاموس المحيط: " النخبة بالضم، وكهُمزة: المختار، وانْتَخَبَهُ: اختاره والنِخْبُ: النكاح أو نوع منه، وفعله: كمنع، ونصر، والعض والنزع"[3].

والنخبة هنا تحيل على الانتخاب والاختيار، والقطف والانتزاع، وتمتد تلك الإحالة إلى ما يمثل خصيصة الشيء الأكثر تميزا له عما عداه، وعلى أساس التميز والسمو حيث يرتقي فيها الأقوى والأفضل إلى المراتب العليا فقد وردت في قواميس اللغة العربية وفي مختلف الاستخدامات للإشارة إلى عِلية القوم وصفوتهم.

---

[1] - علي أسعد وطفة: في مفهوم النخبة -مقاربة بنائية-مجلد نقد وتنوير، العدد 1، 2015، ص 6.

[2]- أبو الفضل جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، تح: عامر أحمد حيمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002 مادة نخب، ج1،ص878.

[3]- الفيروز أبادي: القاموس المحيط: تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005، ص 136.

ب- اصطلاحا: " لم يعرف تعبير "النخبة" كمصطلح استخداما واسعا في الكتابات الاجتماعية، والسياسية، والأوروبية بوجه عام، إلا في أواخر القرن التاسع عشر وفي ثلاثينيات القرن العشرين في بريطانيا، وأمريكا بوجه خاص، وذلك حينما انتشر المصطلح، وساد استخدامه في النظريات السوسيولوجية للنخبة، وعلى الأخص تلك التي تضمنتها كتابات **فلفريدوبارتو**[1].

مما يشير إلى أن مفهوم النخبة الاصطلاحي، هو مفهوم حديث، ارتبط بتطور علم الاجتماع السياسي ونظرياته الحديثة.

وقد كانت دراسة **توم بوتومور** حول النخبة والمجتمع من أهم الدراسات التي حاولت أن تفجر الكثير من الأسئلة حول نظرية النخبة[2].

_ ومن بين رواد نظرية النخبة **باربتو**، فقد انطلق في كتابه "العقل والمجتمع" من التعريف العام للنخبة على المستوى الاجتماعي، لينتقل إلى معنى ضيق للنخبة السياسية أو كما سماها "النخبة الحاكمة"، فالنخبة في نظره: " هم أولئك الذين يتفوقون في مجالات عملهم في مباراة الحياة" [3]؛ وهو في هذا التعريف يربط مفهوم النخبة الاجتماعية بقدرة هؤلاء المتفوقين على ممارسة وظائف سياسية، أو اجتماعية تخلق منهم طبقة حاكمة ليست بحاجة إلى دعم وتأييد جماهيري ؛لأنها تقتصر في حكمها على مواصفات ذاتية تتمتع بها، وهذا ما يميزها ويؤهلها لاحتكار المناصب، فباربتوا قدم تحليلا أكثر شمولا ونفاذا للنخبة.

_ ويأتي الرائد الثاني **موسكا** الذي يضيف على تعريف **باربتو** قائلا: "إن من أهم أسباب تميز الطبقة الحاكمة عن الطبقة المحكومة هو قوة وتنظيم الأولى، ووجود دافع

---

[1]- سعيد شبار: في مفهوم النخبة.. ودور الوسيط أو المصادر الثقافي، مجلة فكر ونقد، العدد 27، 2000، ص 23.

[2]- معن حمدان علي: النخبة السياسية، مجلة النبأ، العدد 79، 2005،ص 67.

[3]- إبراهيم أبراش: علم الاجتماع السياسي، دار لشروق، عمان، د،ط، 1998، ص 115.

وهدف معين تسعى إليه في مواجهة أغلبية غير منظمة، إلا أنه يؤكد على أهمية اعتماد طبقة الحاكمين على موافقة ورضى الجماهير، وهذا الطرح يقرب ما بين نظرية النخبة السياسية والديمقراطية عكس ما انتهى إليه باربتو[1].

_ ونجد أيضا الرائد **رايت ميلز** ومن خلال دراسته لمجتمع الولايات المتحدة الأمريكية ربط بين النخبة وقدرتها على التحكم بموقع اتخاذ القرارات، فهي نتاج للبناء المؤسساتي للدولة ... وهذا معناه أن النخبة تتشكل من أولئك الذين يشغلون مواقع قيادية في هذه المؤسسات [2].

ويؤكد **بوتومور** في كتابه " الصفوة والمجتمع" أن ميلز متأثر في تعريفه بضغوط الصراع العالمي التي شغلت أمريكا في عصره، وتصنيفه، إنما هو بالتالي إشارة إلى تتابع الأحداث.

لقد ساهمت وبشكل مباشر كل هذه الدراسات النظرية في تقارب التعريفات الأخرى مع ما جاء به بوتومور، فعرفت القواميس الإنجليزية كلمة النخبة Elite: "بأنها أقوى مجموعة من الناس في المجتمع، ولها مكانتها المتميزة"[3].

النخبة في التراث العربي:

هناك حضور جلي لمفهوم النخبة في التراث العربي دون استخدام المصطلح نفسه حيث تشير بعض الكتابات إلى أنه تم إطلاق اسم "السراة" على هذه الفئة الاجتماعية المتميزة، والتي تلعب دورا تنويريا في المجتمع، هي مكونة بالضرورة من أشخاص يمتلكون قوة التأثير المعنوي للتدخل القوي الفاعل، ويشاركون في صياغة تاريخ جماعة ما، ولعل أول من صرح لهذه الفئة ووظائفها في التراث العربي، هو نص جاهلي للشاعر الأفوه الأودي، ومن أبياته الشهيرة:

---

[1]- معن حمدان علي: النخبة السياسية، ص68.

[2]- إبراهيم أبراش: علم الاجتماع السياسي، ص 117.

[3]- https :Har.wikipedia.org/w/

لا يَصلُحُ الناسُ فَوضى لا سَراةَ لَهُم وَلا سَـــــراةَ إِذا جُهّـــالُهُـــم ســـــادوا

تُلفى الأُمورُ بِأَهلِ الرُشدِ ما صَلَحَت فَإِن تَـوَلّـــوا فَبِالأَشـــــرارِ تَنقـــــادُ

إِذا تَوَلّـــى سَـــراةُ القَـومِ أَمـرَهُمُ نَما عَلى ذاك أَمـــرُ القَومِ فَـــــازدادوا[1].

وقد جاء أيضا أن النخبة هي كل جماعة، وكل مجموعة مستقلة نسبيا، تنحو لأخذ شكل هرمي، والشريحة العليا التي تتمتع بأكبر قدر من التمثيلات الرمزية والكفاءات التنظيمية تشكل النخبة[2].

كما أنها تعرف أيضا بأنها: " تلك الفئة من الناس المكلفة بتحمل مسؤولية التغيير والتسيير وقيادة المجتمع" [3].

فالنخبة هنا مجموعة من الأشخاص الأكثر قدرة من غيرهم، فهي تعبر عن طبقة معينة أو شريحة منتقاة ذات مسؤولية، هدفها التغيير والقيادة. وتعني أيضا الأقلية المنتخبة أو المنتقاة من مجموعة اجتماعية، تمارس نفوذا غالبا في تلك المجموعة بفضل مواهبها الفعلية أو الخاصة المفترضة.

ويتداخل مع مصطلح النخبة مصطلحات أخرى؛ بمعنى الصفوة أو المثقف العربي الحديث أو ما اصطلحت بعض الأدبيات على تسميته بالأنتلجنسيا العربية، التي ظهرت كردة فعل للتحدي، الذي مثلته الحضارة الغربية بتفوقها العسكري والاقتصادي والسياسي، وسنحاول دراسة كل مصطلح على حدى.

---

[1]- فضيل حضري: تشكل النخبة الدينية في الجزائر، دراسة ميدانية لمدينة تلمسان، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية، والعلوم الاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2013/2012، ص51.

[2]- سعيد شبار: في مفهوم النخبة ودور الوسيط أو المصادر الثقافي، ص 25.

[3]- عمر عبيد حسنة: مفهوم النخبة وفق المنظورين الإسلامي والغربي، http :library.islamweb.net

2/- **الصفوة:**

لقد دأب الكثيرون على الخلط بين مفهومي النخبة والصفوة، خصوصا في استعمالاتهم وتعاملهم مع لفظة ***Elite***، سواء كان بالنسبة للمؤلفين والباحثين المشتغلين بهذه المسألة، الذين يستعملون في كتاباتهم كلا المفهومين باعتبارهما مترادفين، أو بالنسبة للمترجمين الذين يترجمون كلمة ***Elite*** بكلمة الصفوة، كما فعل الأساتذة المترجمون لكتاب توم بوتومور "الصفوة والمجتمع".

وتختلف وتتباين وجهات النظر حول مفهوم الصفوة، ويمكن تعريف هذا المفهوم على النحو التالي: "الصفوة هي جماعة من الأفراد معروفة اجتماعيا أو سياسيا لها خصائص وسمات ذات قيمة معينة، كالقدرة العقلية أو الوضع الإداري المرموق أو القوة العسكرية، وهي خصائص ترتبط بدرجة عالية من الهيمنة والنفوذ"[1].

كما أورد معجم المصطلحات السياسية والدولية إلى أن *Elite* يقابلها بالعربية الصفوة أي علية القوم وهم أقلية ذات نفوذ تحكم الأغلبية، وتلعب هذه الصفوة دورا قياديا، وسياسيا لإدارة جماعاتهم، من خلال الاعتراف التلقائي بهم وبصفتهم[2].

وتقتضي التعريفات المختلفة لمفهوم الصفوة والتعديلات التي طرأت عليها ضرورة استخدام مصطلحات أكثر دقة من تلك التي استخدمت حتى الآن بمصطلح صفوة أو صفوات،حيث يستخدم اليوم بشكل عام للإشارة إلى الجماعات الوظيفية المهيمنة بالأساس التي تتمتع بمكانة اجتماعية عالية في المجتمع، بغض النظر عن دوافع ذلك.

ولا شك أن دراسة الصفوات بهذا المعنى لها إيجابياتها من نواحي عديدة من أهمها: حجم الصفوات وأعدادها، وعلاقاتها فيما بينها، ثم علاقاتها بالجماعات التي

---

[1]- زاهر زكار: الصفوات وتأثيراتها في المجتمع، www.minshawi.com.

[2]- أحمد زكي بدوي: معجم المصطلحات السياسية والدولية، دار الكتاب المصري، القاهرة، د.ط، 1989، ص ص52، 53.

تسلم مقاليد القوة السياسية، وهذه الجوانب تعتبر ذات أهمية علمية في دراسة التغييرات التي تمس مختلف شرائح البناء الاجتماعي، بالإضافة إلى ذلك مسألة انغلاق، أو انفتاح الصفوات التي تعتبر بالغة الأهمية أو بمعنى أدق طبيعة الدخول إلى الصفوة ومدى عملية الحراك الاجتماعي المتاحة فيها.

" ويصنف علماء الاجتماع والسياسة الصفوة إلى عدة أنواع هي: الصفوة التقليدية، والصفوة التكنوقراطية، والصفوة المالكة، والصفوة الكاريزمية، والصفوة الإيديولوجية، والصفوة الرمزية، والصفوة الثقافية، والصفوة العسكرية"[1].

وتجدر الإشارة إلى أنه برزت في أدبيات التراث العربي مؤلفات ضخمة استخدمت هذا المفهوم على غرار مؤلف "صفوة الصفوة" لابن قيم الجوزي وكتاب "صفوة التصوف" للمقدسي.

3/ - **المثقف**:

أ- لغة: يعد مفهوم المثقف من أكثر المفاهيم تداولا في العلوم الاجتماعية ويمكن تعريفه من الناحية اللغوية على أنه مشتق من كلمة ثقف.

_ فقد جاء في لسان العرب: ثقف الشيء ثَقْفًا وثقافا وثقوفة: حذقه، ورجل ثَقْفُ وثَقِف وثَقُفُ: حاذق، فهم..... ويقال ثقف الشيء وهو سرعة التعلم.... وثَقِفْتُه إذا ظفرت به، والثقاف والثقافة: العمل بالسيف، والثقاف ما تسوى به الرماح، ومنه قول عمر:

إذا عض الثقاف بها اشمأزت تشيح قفا المثقف والجبينا[2].

_ وجاء في مجمع الأمثال:" أنه كذلك يدل على المهارة في القتال، فالرجل يوصف بالثَّقف، إذا كان جيد الحذر في المعركة، وسريع الطعن"[3].

---

[1]- زاهر زكار: الصفوات وتأثيراتها في المجتمع، المرجع السابق.

[2]- ابن منظور: لسان العرب، ج9، مادة ثقف، ص ص 22،23.

[3]- الميداني أبو الفضل: معجم الأمثال، تح: محي الدين عبد الحميد، دار النصر، دمشق، ط1، د.ت، ص 158.

_ وجاء أيضا، في القاموس المحيط أنه يفيد الفطنة والذكاء، وسرعة التعلم فكانوا يسمون الرجل بالمثقف إذا كان فطنا وذكيا وسريع الفهم[1].

يدل ما تقدم على أن العربية، استخدمت كلمة المثقف أو الثقف للدلالة على المهارة في الفهم وحدة الذكاء، والاستقامة والتهذيب.

ب- اصطلاحا: أثار تعريف المثقف جدلا كبيرا بين الباحثين، فمنذ أن صدرت جريدة الأورو الفرنسية بعنوان: "إعلان المثقفين في أواخر القرن 19"، برزت ردود فعل كثيرة إزاء التعريف الذي قصر صفة المثقف على النخبة المميزة من الكتاب والعلماء وأساتذة الجامعات[2].

وترجع صعوبة تعريف المثقف إلى أن المثقفين لا يشكلون طبقة مستقلة قائمة بذاتها بل يتوغلون في الطبقات المكونة للمجتمع ويتحركون بحرية على سلم المجتمع فهناك عشرات التعاريف التي حاولت الاقتراب من المفهوم الدقيق لهذا المصطلح، فكثر النقاش وتعددت وجهات النظر.

وأبرز من اهتم بذلك الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر، الذي يعرف المثقف على أنه:"ذلك الإنسان الذي يدرك ويعي التعارض القائم فيه، وفي المجتمع بين البحث والحقيقة العلمية... وبين الإيديولوجيا السائدة"[3].

وكان مصطلح مثقف قد ولد في مناخ أوروبي، إذ يعد سان سايمون أول من استخدم مصطلح مثقفين قاصدا بها: " تلك الفئة الجديدة من فئات النخبة الثقافية، والتي تعتمد في كسبها على الإنتاج الفكري"[4].

---

[1]- الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ص 141.

[2]- جمال علي زهران: تأثير الأوضاع المجتمعية على المثقف العربي، مجلة الوحدة، العدد 40، 1988، ص 34.

[3]- جان بول سارتر: دفاع عن المثقفين، تر: جورج طرابشي، منشورات الآداب، بيروت، ط1، 1973، ص 33.

[4]- عبد السلام حيمر: في سوسيولوجيا الثقافة والمثقفين، الشكلية العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2009، ص 112.

ويرى بوتومور أن المثقفين: "جماعة صغيرة تتألف من أولئك الـــذين يســـهمون مباشرة في ابتكار ونقل ونقد الأفكار، وتظم هذه الفئة المؤلفين، والفنـــانين، والعلمـــاء والمفكرين، والمتخصصين في النظريات الاجتماعية، والمعلقين السياسيين" [1].

كما حاول أيضا بعض الباحثين والمفكرين العرب تحديد مفهوم المثقف، نجد منهم إدوارد وديع سعيد حيث يقول: " المثقفون هم عصبة ضئيلة من الملوك الفلاســفة مــن ذوي المواهب الفائقة والأخلاق الرفيعة الذين يشكلون ضمير البشرية" [2].

ويعرف برهان غليون المثقفين كذلك: " بأنهم تلك المجموعة من الناس التي تتميز عن غيرها بأنها تجعل من التفكير في الواقع، والمصلحة العامة عموما أحـــد همومهـــا الرئيسية وتشارك في الصراع الاجتماعي والسياسي من أجل دفع هذا الواقـــع حســـب الرؤى التي تراها مشاركة، وقد تتخذ أشكالا مختلفة سياسية وفكرية"[3].

أما صبحي غندور فيعرف المثقف العربي بأنه: " كل إنســـان عربـــي رجـــل أم امرأة، حاكم أو معارض، أكاديمي أو مهني، دبلوماسي أو سياسي، طالب أو عامـــل... كل من يعيش حالة التراجع العربي ويعاني منها ويتصور حلولها"[4].

كما نجد أيضا أن المثقف هو ذلك الرجل الذي يتحلـــى بـــروح مســـتقلة، محبـــة للاستكشاف والتحري، وذات نزعة نقدية واحتجاجية تشتغل باسم حقوق الروح والفكر

---

[1]- توم بوتومور: الصفوة والمجتمع، دراسة في علم الاجتماع السياسي، تر: محمد الجوهري وآخرون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، 1988، ص ص 86 ،87.

[2]- إدوارد سعيد: المثقف والسلطة، تر: محمد عناني، رؤية للنضر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص34 ،35.

[3]- برهان غليون: الأنتلجنسيا والسياسة والمجتمع، دار الاجتهاد، العدد 5، بيروت، 1989، ص 17.

[4]- زكي العليو: مداخل التعريف والأدوار، الإنشار العربي، بيروت، ط1، 2009، ص79.

فقط [1]. فالمثقف هو الشخص الذي يمتلك المعرفة وموهبة الحكم على المواقف المختلفة والصفة الغالبة على كل المثقفين هي استيعابهم لأدوات المعرفة واستخدامها في العمل الذهني [2].

وبعد استعراض طائفة من التعاريف المتعلقة بمفهوم المثقف يستخلص أحد الباحثين تعريفا جامعا له وهو أن: " المثقف هو ذلك الشخص المتعلم الواعي المشارك وصفة المشاركة يقصد بها ذلك الشخص الذي تعلم، وأدرك واستوعب وتفهم قضايا مجتمعه، ثم نزل إلى ساحة الميدان للمشاركة التطوعية في العمل الوطني لبناء مجتمعه"[3].

والمثقف هو من وهب ملكة عقلية لتوضيح رسالة، أو وجهة نظر، أو موقفا، أو فلسفة، أو رأي أو تجسيد أي من هذا أو تباينها بألفاظ واضحة لجمهورما ونيابة عنه.

وتوظيف المثقف كشخصية روائية ارتبط بظهور الرواية العربية أي منذ أن كانت تخطو خطواتها الأولى وهو ما ذهب إليه جابر عصفور في قوله: " ظهور البطل المثقف في الرواية العربية من حيث هو موضوع لها، نتيجة مترتبة على نشأة هذه الرواية في استجابتها إلى بحث الوعي المدني عن وسيط إبداعي... وأن تحول هذا البطل إلى عنصر تكويني في الرواية، أو الشخصية الأساسية من شخصياتها، لازمة من لوازم النشأة... كما أصبحت سمة من سمات مبدعها" [4].

---

[1]- إسعاف حمد: المثقف العربي، إشكالية الدور الفاعل، مجلة جامعة دمشق، العدد 3-4، المجلد 30، 2014، ص 343.

[2]- عبد السلام محمد الشاذلي: شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1985، ص 25.

[3]- جمال علي زهران: تأثير الأوضاع المجتمعية على المثقف العربي، ص 37.

[4]- جابر عصفور: مواجهة الإرهاب، قراءات في الأدب المعاصر، مهرجان، القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، 2003 ص 56.

4/ _ الأنتلجنسيا (*Intelligentsia*):

ويتداخل مع مصطلح المثقف مصطلح آخر يحمل نفس المفهوم، وهو مصطلح الأنتلجنسيا، وقد استعمل من قبل الأوروبيين وهو يعني المفكر.

والأنتلجنسيا هي كلمة بولندية الأصل، نزحت إلى روسيا بمناسبة الوضع التاريخي الذي كان أكثر من أي وضع تاريخي آخر، لإفراز تلك الإوالية التي تفسح المجال لظهور ذلك المثقف الذي يقف على مسافة بعيدة من نظام قائم، ويكون أكمل تعبير عن "الأنتلجنسيا" بالأخص الدعوة إلى تصورات مستقبلية تبشر بنظام جديد يحل محل النظام القديم[1].

ويستخدم هذا المصطلح، في المجتمعات الغربية للإشارة إلى صفوة داخلية صغيرة تضم الكتاب، وذوي الثقافات الراقية، وهي جماعة لها كيانها المستقل وقد يكون لها أيضا - في أوقات معينة - بعض التأثير الاجتماعي والسياسي[2].

ويجدر بالذكر أن هذا المصطلح استخدم في روسيا، في منتصف القرن التاسع عشر عندما كانت الطبقة العليا في روسيا منقسمة إلى قسمين: البيروقراطية الحاكمة وقسم المثقفين المتخصصين في المهن العليا[3].

وهناك من ينوط الثورة بالأنتلجنسيا، ويعتبر هذه الأخيرة أعلى مستويات النخبة المثقفة، التي يمكنها وحدها فقط الاطلاع بمهام الثورة والتنظير لها،فهي لا تعني كما يتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى، وكما يشير معناها القاموسي: "مجموعة المثقفين في بلد من البلدان"، فالمثقف لا ينطوي تحت لواءها إلا عندما ينتهي إلى مفاهيم وتصورات رافضة للوضع القائم وداعية إلى تعديله[4].

---

[1]- نديم الأنصاري: المثقف العربي والسلطة، مجلة الوحدة، العدد 10، 1985، ص 13.

[2]- بوتومور: الصفوة والمجتمع، ص 86.

[3]- ينظر: المرجع نفسه،ن.ص .

[4]- جورج طرابشي: من المثقفين إلى الانتلجنسيا، مجلة الوحدة، العدد 40، 1988، ص 62.

فالأنتلجنسيا إنما هي مكانة اجتماعية سياسية، أو وظيفة في النظـــام الاجتمـــاعي يقوم بها جمع متميز من حيث الأهداف والعقائد والأصول الاجتماعية، مـــن مفكـــرين وغير مفكرين، وهذا يعني بالضرورة، أن لهذه المجموعة المتنوعـــة موقفـــا سياســـيا وممارسة سياسية إيجابية، سواء تمت هذه الممارسة من خلال العمل الحزبـــي أم مـــن خارجه [1].

وهكذا نجد أن الحديث عن هذا المصطلح هو الحديث عن المثقفين كفئة اجتماعية متميزة وفاعلة، ذلك أن المثقفين بحكم تشابه دورهم وتماثل وضعهم يشكلون فئة تتعالى على الأفراد الطبيعيين [2].

ثانيا: نظرة حول التجربة الروائية لإبراهيم نصر الله :

1/ أ: نبذة عن إبراهيم نصر الله:

إبراهيم نصر الله شاعر وروائي فلسطيني الأصل، ولد في عمان سنة 1954 في أقسى الظروف، حيث تم اقتلاع أبويه من قريتهما البريج والشعب الفلسطيني من أرضه في عام 1948.[3]

كانت مدرسته الأولى خيمة بـــلا مقاعـــد تابعـــة لوكالـــة الغـــوث فـــي مخـــيم الوحدات،عايش هذا المكان بكل ما فيه، فصار وشما على جسده يعلن عن ذاتـــه فـــي الحضور والغياب، في هذه الخيمة الدراسية كان الوضع يفرض على إبراهيم نصر الله وزملائه الطلاب الاشتراك في كتاب واحد، وكانوا يحرمون في الآن نفسه مـــن أخـــذه معهم إلى منازلهم، ومنذ تلك اللحظة بدأ حلم إبراهيم يكبر في امتلاك كتابه الخـــاص... وقد تأتى له ذلك فعلا باطلاعه على مجموعة من الأعمال الأدبيـــة الموازيـــة خـــارج المقرر الدراسي، ومصادفة فقد كانت هذه الإبداعات الموازية تتحدث نغما حزينا اعتقد

---

[1]- برهان غليون: الانتلجنسيا والسياسة والمجتمع، ص 17.

[2]- سعيد شبار: في مفهوم النخبة ودور الوسيط أو المصادر الثقافي، ص 26.

[3]- إبراهيم نصر الله شرفة الهاوية- رواية-، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، ط2، 2014، ص 331.

معها إبراهيم نصر الله، أن العالم يعيش حالة بؤس لا تختلف عن تلك التي يعيشها هو في المخيم[1]، إنها المعاناة التي شكلته والآثار الأشد وقعا والأكبر معنى التي تختزل حكاية أديب وشاعر وروائي وفنان، يركض وراء كتابة تقاوم النسيان، أديب تفتقت ملكته الإبداعية لتشيد رؤى للكون وتبني آفاق منسجمة ومنصهرة في بوتقة جعلت من الجرح العربي –الفلسطيني- ومن هموم الإنسان وقضاياه الوجودية وعيا لا ينفصل فيه الجمالي عن الدلالي، والواقعي عن التخييلي، والسردي عن الشعري، والإيديولوجي عن اليوطوبي لبناء هوية تعطي للوجود الفلسطيني والإنساني معنى وللتاريخ قيمة [2].

تابع إبراهيم نصر الله دراسته في مركز تدريب عمان لإعداد المعلمين وكان المكان فرصة لاطلاع الشاعر والروائي على نصوص غسان كنفاني، وسميرة عزام وهي نصوص تشع بالحرية والجمال، وسافر إلى السعودية، وتحديدا إلى القنفذة حيث عمل مدرسا لمدة عامين 1978/1976 وعمل في مؤسسة عبد الحميد شومان-دارة الفنون -مستشارا ثقافيا للمؤسسة ومديرا للنشاطات الأدبية فيها[3].

1 /ب: أعماله وآثاره الشعرية والروائية:

1 - آثاره الشعرية:

الخيول على مشارف المدينة 1980 / المطر في الداخل 1982/ الحوار الأخير قبل مقتل العصفور بدقائق 1984/ نعمان يسترد لونه 1984/ أناشيد الصباح 1984/ الفتى النهر والجنرال 1987/عواصف القلب 1989/ حطب أخضر 1991/ فضيحة الثعلب 1993/ الأعمال الشعرية _ مجلد يضم تسعة دواوين1994/ شرفات الخريف 1996/ كتاب الموت والموتى 1997/ بسم الأم والابن 1999/ مرايا الملائكة 2001/

---

[1]- عبد الله بريمي: موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، إبراهيم نصر الله، الأدب، تنقية للذاكرة وأنسنة للتاريخ، الجزء 4، ص 4.

[2]- المرجع نفسه: ص5

[3]- المرجع نفسه : ص 6.

حجر الناي 2007/ لو أنني كنت مايسترو 2009/ أحـــوال الجنـــرال _ مختـــارات _ 2011/ عودة الياسمين إلى أهله سالما _ مختارات _ 2011/ على خيط نور .... هنا بين ليلين 2012[1].

2 - آثاره الروائية:

براري الحمى 1985/ الأمواج البرية 1988/ عوْ 1990/ مجرد 2 فقط 1992/ حارس المدينة الضائعة 1998 .

الملهات الفلسطينية (كل رواية مستقلة تماما عن الأخرى): طيور الحذر 1996/ طفل الممحاة 2000/زيتون الشوارع2002 / أعراس أمنة، تحـــت شـــمس الضـــحى 2004/ زمن الخيول البيضاء 2007/ اللائحة القصيرة لجائزة البوكر العربية 2009/ قناديل ملك الجليل 2012.

الشرفات (كل رواية مستقلة عن الأخرى) شرفة الهذيان 2005/ شرفة رجل الثلج 2009/ شرفة العار 2010/ شرفة الهاوية 2013[2].

وله كتب أخرى تتعلق بالنقد السينمائي، وأبحاث ودراسات في موسوعات وفي نقد القصة ونقد الشعر، وشارك في معارض تشكيلية وفوتوغرافية، وقد ترجمـــت بعـــض رواياته إلى الانجليزية والإيطالية والدانمركية والتركية[3].

2 / التجربة الروائية لإبراهيم نصر الله:

إن أعمال إبراهيم نصر الله الروائية لا تكف عـــن مجابهـــة ومســـاءلة الأنســـاق المبتذلة، إذ تسعى لتحطيمها ما يجعلنا نستشعر أن هناك قوة حقيقيـــة تـــتم ممارســـتها بواسطة السرد، وأن هذه القوة لها آثارها الفعلية بوصفها ممارسة إبداعية، تتكامل مـــع الفعل الثقافي الباني لكينونة المجتمع، ويتبدى هذا بصورة واضحة في الأعمال السردية

---

[1]- إبراهيم نصر الله: شرفة الهاوية- رواية -، ص 331.

[2]- المصدر نفسه: ص ص 331،332.

[3]- عبد الله بريمي: موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، ص 6.

التي تستعيد التاريخ وفق رؤية جديدة، وهي بذلك تؤسس لفهم مغـــاير لهـــذا التـــاريخ بإضاءة كل الحقائق، التي لحقها التشويه والتزييف، " لهـــذا الســـبب اكتســـبت أعمـــال إبراهيم نصر الله السردية في أبعادها الوجودية قوة خاصة، أقدرتها على مجابهة كـــل السلطة الفعلية والرمزية في نزوعها التحكمي ومكنتها من اقتراح بديل، يفوض نســـق السلطة ويشكك في نواياها، ويسعى إلى نقد خطابها وإفشـــال رهاناتهـــا، كمـــا يـــأبى الاستكانة ويتلبس بوظيفة إنقاذية للإنسان في صراعه الأبـــدي مـــع أقـــدار لا تحتـــرم إرادته[1].

" فما غيبته سردية السلطة أو عملت على تشويهه أو تحريفه، يستعاد عبر سردية مغايرة، تؤكد الحاجة إلى الرواية في التعبير عن الوجود وكما تتوجـــه هـــذه الســـردية المضادة إلى الآخر، بهدف مقاومته، واستعادة ما عمل على تغييره أو تشويهه كالتاريخ والأمكنة، تتوجه كذلك إلى داخل حدود الذات من أجل تفكيك بنـــى الهيمنـــة وأنســـاقها وآثارها على الفرد والمجتمع"[2].

إن مساهمة هذه السردية تدخل في إطار العمل على تحقيق ما دعاه علي حـــرب "تحويل الفضاء الجغرافي إلى أرض لا نزراع الأفكار الخصبة ،أو لـــولادة المفـــاهيم الخارقة"[3].

والنص الروائي عند إبراهيم نصر الله ينطوي على أفقين: أفق التجربـــة، وأفـــق التوقع، فالأول يتجه نحو الماضي له صياغة تصويرية معينة، تنقل تتابع الأحداث إلـــى نظام زمني فعلي ، والثاني -أفق التوقع - وهو الأفق المستقبلي يعيد به بناء النص

---

[1]- عبد الله بريمي: موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، ص ص 21 ، 22.

[2]- إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2014، ص 294.

[3]- علي حرب: حديث النهايات فتوحات العولمة ومآزق الهوية، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، ط1، 2000، ص 26.

السردي في إنتاج أحلامه وخيالاته، وللمتلقي مهمة تأويلها - وهذا ما يعطي لأعمال إبراهيم نصر الله تفردها وتميزها-، فهي دائما متفتحة على التجريب قادرة على امتلاك سمات اللحظة المعاصرة من خلال تجاوزها لاغترابات الوعي الجمالي والتاريخي واللغوي وتمظهرات الآخر من حولها، سواء كان هذا الآخر هو اللغة المتجلية، أو كان هو التراث المدون أو الشفهي، أو كان هو المجتمع بكل توقعاته وتناقضاته، أو العالم برمته وبتياراته الجارفة [1].

والمثير كذلك في أعماله أن هناك مسألة أساسية تتعلق بالكون الروائي خصوصا فيما يتصل بالشخصيات، فهذه الأخيرة لا ينظر إليها إلا باعتبارها بناء تنتج مجموعة من السلوكات والقيم، وتؤدي مجموعة من الوظائف والأدوار، إنها كما يرى فيليب هامون: "شخصيات ذات حمولة مرجعية"، سواء كانت هذه الأخيرة تاريخية أو اجتماعية أو ثقافية، هذه المرجعيات تتحدد من خلال الحالات المرتبطة بهذه الممارسات، مثل حالة الطالبة منار في رواية شرفة العار، وحالة الوزير والأستاذ الجامعي والمحامية في رواية شرفة الهاوية، فهذا النوع من الشخصيات أكثر قابلية للتشكل في يد الكاتب، فهي قابلة أن توظف وفق حمولتها الدلالية، كما يمكن أن توظف وفق استعمالات إيديولوجية، ويمكن أن توظف بشكل مناف لطبيعتها، كما حصل مثلا مع شخصيات رواية شرفة الهاوية[2]، حيث الوزير لا يتقن شيئا مثلما يتقن انتهاك الأوطان، والأستاذ الجامعي لا يتقن شيئا مثلما يتقن التحرش بطالباته والمحامية لا تتقن شيئا مثلما تتقن افتقادها لتحقيق العدالة لنفسها.

وللشكل أيضا أهمية بالغة عند إبراهيم نصر الله في الإمساك بدلالات النص وكذلك في استدراج القارئ للاقتراب من دلالات معينة موجودة في النص الروائي

---

[1]- ينظر: عبد الله بريمي: موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، ص 22.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص23.

ولعل الشكل وتهجين اللغة وتكسير المتصلات المتعلقة بالسياسة والجنس من القضايا البانية لفكرة التجدد والتجديد الروائي العربي[1].

كما أن القضايا التي اشتغل عليها في أعماله، تميزت بطابع خاص، سواء فيما يتعلق بالمجتمعات العربية الحديثة، وتفاعلها مع الأحداث السياسية والاجتماعية، وما يعطيها التميز والتفرد هو ارتباطها بالتخييل والتشخيص، وهذا ما يضفي الحيوية على معرفة مسار السرد الروائي عنده، هذا الأخير من بين رهاناته الأساسية النضال الثقافي ضد العنصرية والهويات الثقافية المغلقة في العالم، فقد ناضل من أجل القضية الوطنية، خاصة القضية الفلسطينية، ففلسطين عنده لم تكن مجرد رقعة جغرافية اقتلع منها بل بالعكس تماما، كانت رمزا لكيانه وجوهره كإنسان يريد الوصول إلى ذاكرة عادلة تنصفه وتنصف وجوده وتعطيه استمرارية، فهو يسعى بالكلمة إلى البوح وتحرير الخسارة والفقدان[2].

فكتابة نصر الله الروائية مثلا - الملهاة الفلسطينية- تمكن القارئ من اكتشاف الباحث على الكتابة، والمتمثل في مقاومة النسيان والرغبة في تأثيث وملأ البياضات التي تهدد الإنسان الفلسطيني والعربي وعلاقته بأرضه، ووجوده في هذا العالم ككل.

فالكتابة حماية للذاكرة وضد اللامبالاة، وبصيرة أمام الحقيقة التاريخية والوجودية، والجمالية التي تختزنها نصوص إبراهيم نصر الله السردية الغنية بالإيحاءات والرموز التي تستعيد فترات مجهولة أو شبه مجهولة في التاريخ العربي والفلسطيني.

---

[1]- عبد الله بريمي: موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، ص 23 .

[2]- ينظر المرجع نفسه: ص24.

الفصل الأول

بناء الشخصية في رواية "شرفة الهاوية"

أولا: تعريف الرواية: 1/موضوع الرواية

2/عنوان الرواية

3/معمار الرواية

4/إستراتيجية الرواية في شرفات نصرالله

ثانيا:الشخصيات في الرواية: 1/1- تعريف الشخصية: أ- لغة

ب– اصطلاحا

2/1– أنواع الشخصية

3/1- طرق بناء الشخصية

2- الشخصيات في الرواية

تمهيد:

تحتل الشخصية موقعا هاما في بنية الشكل الروائي، فهي أحد المكونات الأساسية للرواية ويوليها الكاتب عناية كبيرة؛ لأنها تكشف بوضوح عن المؤلف المتخفي ورائها وتجبر القارئ على البحث عن المماثل والشبيه لها في الواقع.

كما أنها تقود الصراع وتنمي الحبكة، في أي عمل ،فهي التي تقود الأحداث وتنظم الأفعال، وتختلف هذه الشخصيات بحسب الأدوار والوظائف التي تؤديها داخل ذلك النص الروائي.

أولا: تعريف الرواية:

1- موضوع الرواية:

وصفت " شرفة الهاوية " للروائي إبراهيم نصر الله بأنها أجرأ، ما كتبه في مشوراه الإبداعي، وهي تعد الرابعة ضمن مشروعه (الشرفات) عقب شرفة العار.

وقد كانت هذه الرواية من أبرز الروايات المرشحة لنيل جائزة البوكر سنة 2014 [*].

الطبعة الأولى كانت سنة 2013، والطبعة الثانية كانت سنة 2014، صمم لوحة الغلاف الفنان جمال غربية، وتصميم الغلاف كان للفنان محمد نصر الله صدرت عن مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت، عدد صفحاتها 332 صفحة.

"هي رواية أطلق عليها عربيا التحولات الديمقراطية حتى اندلاع الثورات العربية والتغيرات التي طرأت على حياتنا السياسية بين نهاية الثمانينات والثورات العربية، ومكر الأنظمة العربية، وقدرتها على خداع شعوبها. ليست الرواية تأريخا بالطبع ولكنها تتناول روح هذه التغيرات بانعكاساتها على الإنسان العربي من خلال عدة فئات مجتمعية"[1].

يقتحم نصر الله أسيجة من الأسلاك الشائكة وينفذ منها بجرأة كاشفا عن جوانبي مواطن الخلل الحاد في حياتنا الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والتعليمية عبر بناء فني قوامه شخصيات فاقدة لقيم الحرية والإدارة والمسؤولية من حيث المهنة[2].

---

[*]- جائزة البوكر :من أهم الجوائز الأدبية المخصصة للأعمال الروائية ، تأسست سنة 1968 ، تمنح لأفضل رواية لها فرع يهتم بالرواية العربية ، وهي الجائزة العالمية للرواية العربية التي تم إطلاقها في أبوظبي أفريل 2007.

[1]- عبد الله بريمي: موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، ص 20.

[2]- محمد عبد القادر: إبراهيم نصر الله في " شرفة الهاوية ": مرارة الواقع في مرايا فاوست www.alquds.co.uk.

رجل السلطة (الوزير سلمان بيك)، والنخبة المثقفة (الأستاذ الجامعي كـــريم) والشخصية القانونية (المحامية ديانا) والشباب الذين يشـــقون طـــريقهم فـــي الحيـــاة بصعوبة اليوم، فالقضايا الأساسية التي تناولتها الرواية هي الفساد السياســـي، والإداري والمالي، والخيانة، واستغلال ضعف الناس وحاجة الآخرين، ثم التحرش بـــالمرأة فـــي الأوساط الجامعية بالذات (الهوس الجنسي بين الدكتور كريم والطالبة نهى) ، وعـــدم القدرة على حماية الذات .

" فالرواية حاولت تصريف صورة المثقف الذي أدمجته الســـلطة فـــي هويتهـــا فأصبح مجرد صورة تزين الواجهة السياسية ، وبانوراما لديمقراطية مزيفـــة، خلفهـــا تحالك الدسائس ضد أحلام بسطاء ومستقبلها، وهو عاجز أمام كل مـــا يحـــدث باســـمه وبأمر من السلطة التي جرته للصمت المطبق على قلبه وشفاهه حتى صار أثـــرا مـــن التاريخ المنتهي"[1].

2- عنوان الرواية:

للعنوان أهمية بالغة فهو الذي يميز العمل عن غيره من الأعمال إنه بمثابة الاســـم بالنسبة للشخص، وبمثابة المفتاح الذي يمكننا من ولوج عالم الـــنص، وقـــديما قيـــل:" الكتاب يقرأ من عنوانه...". فالعنوان يسهم بقدر كبير في عملية التلقي بالنسبة للقـــراء لأنه المرحلة الأولى التي تتصل بالمتلقي "[2].

" فهو إذن علامة ذات دال ومدلول مثلها مثل النص الوارد بين دفتي الكتاب "[3].

---

[1]- عبد الله بريمي: موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، ص 21.

[2]- صالح مفقودة: أبحاث في الرواية العربية، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 183.

[3]- المرجع نفسه: ص 184.

كما أن للعنوان طبيعة الإحالة والمرجعية، فخلف العنوان هناك منظومة من المرجعيات تعلن عن مقصدية ونوايا الروائي ومراميه الإيديولوجية، وهو كنص يساهم في تشكيل الدلالة وتفكيك الدوال الرمزية وإيضاح الخارج قصد إضاءة الداخل"[1] .

فهذا العنوان " شرفة الهاوية" يباغت وعي المتلقي ويثير اهتمامه قبل أن يلج إلى العالم الداخلي للنص الروائي، فالعنوان هنا مركب من لفظتين: شرفة والهاوية فهذه الأخيرة هي حفرة غامضة بعيدة القرار، لكن ما يهم هو الحفرة التي سقطت فيها الشخصيات:

- هاوية الخيانة العميقة التي تسحب كريم إلى أعماقها فيدمنها، وتصبح حياته لا تقوم إلا بها.

- هاوية السلطة القذرة التي تفرغ محتوياتها في أعماق سلمان فتحوله إلى وحش لا يرحم.

- هاوية الاستسلام العفنة التي تتسع حول ديانا وتسلسلها بقيود من تقاليد وبقايا حب قديم فلا تستطيع الخلاص.

وتكمن أهمية هذا العنوان في ثرائه الدلالي، وذلك بانطباقه على حال الشخصية الروائية، وانطباقه أيضا على المصير الذي آلت إليه تلك الشخصيات .

3/ معمار الرواية:

جاء في الصفحة الثانية من الرواية بعد صفحة الغلاف ما يلي :

"هناك معارك خاسرة، نخوضها ونهزم فيها بقسوة لا تحتملها مكانتنا ولا ظروفنا، ولكننا نخوضها من جديد
كلما فتحت لنا الهاوية شرفتها!"[2].

---

[1]- أحمد مرشد: البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 2005، ص 178.

[2]- إبراهيم نصر الله: شرفة الهاوية- رواية- ، ص 2.

بهذا المقطع يستدرج إبراهيم نصر الله القارئ إلى متن رواية " شرفة الهاوية " ويمنحه مفاتيح الولوج للبحث عن مجاهيلها، وإضاءة مناطقها المظلمة عبر مجرة من الطروحات الفكرية ، والثقافية التي سوف تفجرها عناصر النص أثناء القراءة .

ويقوم معمار الرواية على فصول أربعة – عتبات-، كل فصل يحدد بموضوع يختلف عن الآخر في أدوات اشتغاله؛ إلا أنه يكمل الآخر في طريقة العرض، وفي كل فصل تتفرع عناوين فرعية ذات صلة بتنامي الأحداث، وهي في مجملها تتيح للشخصيات الرئيسية في الرواية أن تقدم نفسها وتعبر عن حالتها، وعلاقاتها بالآخرين وقد جاءت الفصول - العتبات- كما يلي:

عتبات شرفة الهاوية

ذلك الأحمر النحيف الذي اختطف قلب أبي! 7.

السعادة السرية! 93.

الخروج إلى الداخل ! 211.

السلحفاة التي فقدت درعها ! 315[1] .

وبالرجوع إلى السرد ، نجده يجري على ألسنة متعددة أهمها: سلمان - الوزير الذي يستجيب ببساطة بالغة لإغواء السلطة-، والدكتور كريم – الأستاذ الجامعي المتخصص في علم الاجتماع وفي اصطياد طالباته -، وديانا المحامية – زوجة سلمان التي تدافع عن حقوق الآخرين وتعجز على الدفاع عن حقوقها-، بالإضافة إلى الراوي الذي لا يتدخل إلا في حالة الرغبة في إلقاء مزيد من الضوء على شخصية سلمان وتاريخه وجوانب حياته فمثلا يقول: "الليلة الحاسمة في حياة سلمان بيك هي المكافأة الكبرى، وان جاز التعبير والمتمثلة في تعيينه وزيرا..." [2] ، ونجده يصرح بنفسه في قوله: "... وعلي أن أنبه هنا إلى أنني لست محايدا في ما سأقوله على الرغم من أنني

[1]- إبراهيم نصر الله: شرفة الهاوية- رواية -، ص 4.

[2]- المصدر نفسه: ص 115.

كراو لا اعتبر سلمان بيك عدوا شخصيا، كل ما في الأمر أنني أريد التخلص بصورة واضحة من قناع المكر الذي يضعه الروائيون... ها قد أوضحت وجهة نظري في هذه المسألة الدقيقة بالذات..."[1].

وتتجلى جمالية الرواية في قدرتها على تصوير قبح اجتماعي وسياسي في إطار بناء فني محكم ومن خلال لغة ساخرة، فهذه الرواية من الروايات القليلة التي حافظت فيها اللغة على سرديتها؛ فاللغة المستخدمة تعتمد على جملة بسيطة البناء، خبرية في الغالب، تقدم المعلومة والوصف، والحدث بطريقة مباشرة وبسيطة مفهومة للقارئ.

وبالرجوع إلى زمن الرواية نجد أن هذا الأخير يعد أحد المكونات الحكائية التي تشكل بنية النص الروائي، وهو يمثل العنصر الفعال الذي يكمل بقية المكونات وأهميته لا تقتصر على مستوى تشكيل البنية فحسب وإنما على مستوى الحكاية " لان الزمن يحدد إلى حد بعيد طبيعة الرواية ويشكلها "[2].

والملاحظ في الرواية أن ما ورد من أحداث وأخبار وأوصاف،لا ينتظم في تسلسل زمني محدد؛ وإنما يتراصف ويتداخل. فالزمن الروائي لا يمشي في خط مستقيم إذ يمارس إبراهيم نصر الله عملية التقديم والتأخير، فمثلا يحدثنا عن قصة معينة ثم يوقفها ليدخل قصة أخرى، بعدها نجد قصة أخرى، ثم يعود إلى القصة الأولى وهكذا...

كما ورد في بداية الرواية عندما تحدث عن كريم :"أمسكت بالكتاب، كتابي وأبعدت الغلاف ، فبدت الصفحة البيضاء مستعدة على نحو كامل لاستقبال تلك الكلمات التي سأكتبها... وحين استطعت أن أفتح عيني رأيته يبتعد حاملا باقة الزهور! "[3].

---

[1]- إبراهيم نصر الله: شرفة الهاوية –رواية-، ص115.

[2]- قاسم سيزا: بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، 1984، ص 26.

[3]- إبراهيم نصر الله: المصدر السابق، ص ص 9 ، 10.

هذا في بداية الرواية ، ثم يتحدث عن كريم والمقابلة التي ستجمعه مع سلمان بيك في مكتبه في قوله :"فوجئت برنة الموبايل ، ولأنني لم اعد اسمعها إلا نادرا تلفت حولي باحثا عن شخص آخر لابد أن الهاتف يعود لي !

كانت الكلمات التي سمعتها قليلة ومفاجئة :سلمان بيك يريدك في مكتبه !

- لماذا ؟ !

- دكتور كريم ! نصيحتي لا تتأخر !..... [1] .

ثم يتحدث عن قصة نهى وذهابها إلى بيت عمها من أجل إكمال دراستها في قوله:

"لا أحب أفلام العنف ، ولا أحب من أفلام جيمس بوند سوى ذلك المقطع الذي يتكرر فيها كلها :بوند، جيمس بوند !

نهى ، نهى راضي ! هكذا أحب أن أقدم نفسي..." [2] .

بعدها يتحدث عن ديانا المحامية، ثم يعود ليتحدث عن كريم...وهكذا .

وهذه الطريقة من شأنها أن تخلخل مسيرة السرد وتعقد الأمر للمتلقي. كما يلجأ نصر الله إلى القفزات الزمنية المتتابعة زمنيا بصورة متسلسلة، كما تأتي المذكرات المؤرخة التي كتبها سلمان، لتسهم أيضا في لعبة التعامل السردي مع الزمن، فمثلا نجده: يتحدث عن المذكرة المؤرخة في 20 آب 2008 في قوله: " تأخرت كثيرا إلى أن اكتشفت وجود تلك الثغرة...لأقل الهوة... "[3]. بعدها انتقل وقفز إلى المذكرة المؤرخة في 2003/05/7 ":يبدو أن شيئا ما يحدث في رأسي، فالمساحة التي يحتلها الفراغ تبدو أكبر...من طرح سؤالها! "[4].

---

[1]- إبراهيم نصر الله: شرفة الهاوية –رواية-، ص 11.

[2]- المصدر نفسه: ص 14.

[3]- المصدر نفسه: ص 24.

[4]- المصدر نفسه: ص 25 ، 30.

ثم انتقل إلى مذكرة أخرى مؤرخة في 2003/5/8 إلى أن وصل إلـــى المـــذكرة المؤرخة في 2008/11/2.

أيضا المتطلع لهذه الرواية يجدها تنفتح على المشهد الأول الذي يقع في تسلســـله الزمني قبل الصفحات الأخيرة للرواية أو عند اقتراب نهايتها، وهذا يسمى الســـوابق أو الاستباق الذي يقصد به "عندما يعلن السرد مسبقا عما سيأتي لا حقا قبل حدوثه "[1] .

ويعرفه سعيد يقطين بقوله: "حكي الشيء قبل وقوعه "[2] .

ونجد هذا في الصفحة 9 من الرواية في حفل توقيع كتاب كـــريم أو بكلمـــة أدق كتاب " غراميات الدكتور كريم " بعد مغادرته قاعة المكتبـــة التـــي استضـــافت حفـــل التوقيع، متوجها إلى سيارته بادره شاب، يحمل نسخة من كتابه طالبا منه توقيعه عليها:

سألته : اسمك من فضلك !

- قاتلك !

- ماذا ؟!

- قاتلك، وقبل أن أظهر أي علامة استنكار لمزاح بهذا الثقل أحسست بطعنتـــين عميقتين، تشقان جسدي..... [3] .

والمشهد هذا متكرر أيضا في الصفحة 322 من الرواية ، وهذا إعلان عمـــا آل إليه مصير الشخصية. إبراهيم نصر الله استعمل هذه الطريقة تمكن من إزاحة الرتابـــة التي تطرأ على الحكي فرسم النص الروائي لأن يكون أكثر قبولا لدى المتلقـــي الـــذي ينفر بطبعه من الرتابة المملة، فهو يفسح المجال أمام السارد العليم ليعلن عن الأحـــداث الروائية التي سيحكيها في المستقبل، فيتكون لدى المتلقي نوع من المعرفة القبلية، بمـــا

---

[1]- محمد بوعزة: تحليل النص السردي -تقنيات ومفاهيم- الدار العربية للعلوم، ط1، 2010، ص 87.

[2]- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1997، ص 97.

[3]- إبراهيم نصر الله: شرفة الهاوية- رواية-، ص 9.

سيقع في ذلك النص، فهو أراد إدهاش القارئ من جهة ، وتشويقه من جهة أخرى وهذا ما يشعر به قارئ " شرفة الهاوية" من بدايتها.

وبذلك نرى أن إبراهيم نصر الله لجأ إلى هذا النوع ــ رغبة منه في جعل روايته تكتسب جماليات التلقي، بإشراك المتلقي، وتحفيزه على المساهمة في إعادة إنتاج النص الروائي، وذلك من خلال الانزياح عن القراءة التقليدية، والاتكاء على أدوات قرائية جديدة، تعتمد على التأويل من أجل المتعة الروائية.

4- إستراتيجية الرواية في شرفات إبراهيم نصر الله :

تتخذ شرفات نصر الله الإنسان وأزماته المتكررة وصراعه مع السلطة موضوعا لها، على الرغم من أن موضوع كل شرفة يختلف عن الآخر، وسيجد القارئ مع هذا الاختلاف تنوعا وتعددا في الصراع الذي يعيشه الإنسان – رجلا كان أم امرأة -، وإذا كان المجتمع يشجع الأول لذكوريته؛ فإنه يخنق طموح الثاني – المرأة - بحجج العادات والتقاليد، وأن المجتمع يعطي الرجل ما لا يحق للمرأة [1].

لقد جاءت الشرفات بعد الملهاة لتحقق أنموذجها الآخر عبر مستويات أخرى أكثر التحاما بالواقع، وطرحت أنموذجها الروائي بكل دقة ومهارة.

الشرفات: (شرفة الهذيان، وشرفة رجل الثلج، وشرفة العار، وشرفة الهاوية) "هي روايات تتأمل وتحكي بعمق ما حدث وما يحدث في حاضر فلسطين والراهن العربي؛ حيث الاستبداد والاستملاك في كل صوره السياسية، والاجتماعية، والثقافية ولا ينتج سوى ضياع مزيد من الذوات والأوطان ، وهي بالمقابل رحلة البحث عن الحرية وتكسير كل المتصلات والسلط القيمية التي تقدم نفسها باعتبارها مطلقا"[2].

---

[1]- عبد الغني سلامة: رواية ما بعد الحداثة .... الإنسان وأزماته في شرفات إبراهيم نصر الله، مجلة الحياة الحديثة، العدد 6340، 2013، ص 24.

[2]- عبد الله بريمي: موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، ص 18.

بهذا المعنى تنخرط نصوص إبراهيم نصرا لله في تمثيل هويات الشخصيات المفتتة "فالشخصيات في الشرفات تفتقد إلى نقط ارتكاز تسندها ويجعلها تستشعر نوعا من الإحساس بالانتماء في واقعها ،فهي تعيش ضياعا وانشطارا ما يؤكد أنها تعيش قيم مجتمعات ما بعد الحداثة بعيدا عن كل ثبات هوياتي"[1].

ففي "شرفة الهذيان" نجد حالة رشيد النمر في طريقة تفكيره، وفي بحثه عن الحرية والانعتاق من القيود، لكن هذا البطل سرعان ما يكتشف أن أحلامه مزيفة، فهو أصبح مراوغا ومتسترا ويعطي المعلومات الخادعة فنفاجأ بأن رشيد النمر مع المدة يصبح منفذا لرغبات المسؤولين عنه، فيشتري القفص ليضع فيه العصافير ليسلمها للمسؤولين، ولم يعد جمال العصفور وصوته العذب ما يشد رشيد النمر، وإنما الرغبة قي إثبات الإخلاص والولاء للسيد الحاكم، وهكذا يتقابل ويتقاطع عمل رشيد النمر في مركز الإعلام ومهمته الملقاة عليه بمنع الزائرين من تعدي الحدود المسموح بها مع قيامه بتجميع العصافير، والمساعدة في قتلها أو تسليمها للسلطات"[2]. وهذه الرواية كان العبث فيها سيد الأفق، كما أنها تدور في عوالم متصلة من الهذيان، وحلقات متصلة من تخاريف أو ربما رموز، فقد مثلت الرواية بحساسية حالة الاغتراب والتشظي التي يعيشها العربي، وحالة القهر واليأس وفقدان الأمل الذي كان نصر الله يمنحنا أحيانا إضاءات له .

إن رواية "شرفة الهذيان " التي يضيع قارئها مابين شدة واقعيتها من جهة وسرياليتها من جهة أخرى، والمشاهد الخيالية التي تتوالى هي تجربة جديدة ومتطورة في إبداع إبراهيم نصر الله، بالإضافة إلى لغته الجميلة وسرده الأخاذ وحواراته العميقة والواضحة في قصديتها ". لقد خاض تجربة جديدة في كتابه الرواية بعيداعن البناء

---

[1]- عبد الله بريمي: موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، ص18.

[2]- إبراهيم نصر الله: شرفة الهذيان-رواية-، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ن بيروت، ط1، 2005، ص 186.

التقليدي، واستعاض عنها بالخبر الصحفي والإعلان الرسمي والصورة الفوتوغرافية والمأخوذة من الأنترنيت، وهو يدرك كم لهذه الإضافات من تأثير، فصورة الرئيس الأمريكي ومن ثم صورة معتقل غوانتنامو والمعتقلين فيه، وصورة المعتقلين أثناء تعذيبهم، وصورة عشرات القتلى نتيجة الحرب...كلها كافية أن تقول لنا ما تعجز عنه آلاف الكلمات، كما أن تكرار صوت العصافير المعرضة للذبح والقتل، رغم ذلك تبقى مصرة على الحياة والطيران. "[1].

فإبراهيم نصر الله يضعنا أمام الواقع العربي المعاصر بأسلوب يكاد لا يصلح له سوى الهذيان والرمزية، كما أن التفتت الهوياتي بين أن تكون الشخصية هي ولا هي في الوقت نفسه، نجد شخصية الطالبة الجامعية منار في رواية " شرفة العار " التي وقعت فريسة للشاب يونس، هذا الأخير اغتصبها بالقوة انتقاما من أخيها الذي رفض أن يسد له ديونه، وبدلا من أن يداوي المجتمع جراحها ، ويقف إلى جانبها ويواسيها ويبحث عن المجرم، عمل على إدانتها باعتبارها مجرمة تجاوزت الخطوط الحمراء ثم تقتل في النهاية على يد أخ فاسد متهتك ، كان السبب المباشر في كل ما جرى الرواية بشكل عام إدانة للجميع فالكل شريك في الجريمة والكل مدان، والكل يتحمل جزء من المسؤولية، فجريمة الشرف جريمة مجتمعية ، مرتبطة بمجتمعات غير مستقرة، ومخلخلة لا هوية واضحة لها.

ويواصل نصر الله تشييد شرفاته الروائية متخذا منها وسيلة لرصد واقع عربي يزخر بالهذيان والعبث والعار ليبلغ في انحداره حافة الهاوية، هذه الأخيرة التي حملت عنوان روايته في سياق مشروع الشرفات " شرفة الهاوية " هي رواية كاشفة لواقع منظومة اجتماعية، وسياسية، وثقافية، وحقوقية هش وشقي واقع ترسمه المظاهر البراقة لشخصيات هشة داخل شرائح اجتماعية تعيش على توزيع الوهم[2].

---

[1]- عبد الله بريمي: موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، ص 20.

[2]- المرجع نفسه: ص 21.

رجل السلطة (الوزير سلمان)، والمثقف (الأستاذ الجامعي كريم) ، والشخصية القانونية (المحامية ديانا)، وكلها شخصيات واقعية ونماذج تتساقط للأعلى في فترة زمنية يتم فيها تحويل حتى الذكريات والأحلام لسلعة تباع، وشريحة اجتماعية تعيش على النهب والسرقة والفساد، فالرواية حاولت تصريف صورة المثقف الذي أدمجته السلطة في هويتها، فأصبح مجرد صورة تزين الواجهة.

تلك الشرفات تعبر عن تناقضات في الحياة الاجتماعية المملوءة من الظلال فإبراهيم نصر الله يضعنا أمام واقع عربي لا يصلح له سوى الهذيان والعبث والعار وفي الأخير يصل إلى حافة الهاوية.

ثانيا: الشخصيات في رواية " شرفة الهاوية " :

1- تعريف الشخصية :

تعد الشخصية إحدى المكونات الحكائية التي تشكل بنية النص الروائي ، لكونها تمثل العنصر الفعال الذي ينجز الأفعال التي تمتد، وتترابط في مسار الحكاية[1].

وباعتبارها مفهوما معقدا ومركبا يصلح موضوعا لخطابات متعددة، فقد تناولتها مجموعة من الدراسات في حقول معرفية مختلفة ، وهذا التباين في المفاهيم جعل دراسة الشخصية يكتنفها التعقيد والاختلاف في الأحكام.

أ – لغة: جاء تعريفها في لسان العرب : " أنها من مادة شَخَصَ، والشّخْصُ جماعة شَخْصِ الإنسان وغيره، والجمع أَشْخَاصٌ وشُخُوصٌ وشِخَاصٌ، والشَّخْصُ : سواء الإنسان وغيره تراه من بعيد، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه."

والشَّخْصُ: كل جسم له ارتفاع وظهور، والمراد به إثبات الذات فاستعير لها لفظ الشخص[2].

---

[1]- أحمد مرشد: البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، ص 33.

[2]- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط4، 2005، ج 7، مادة شخص، ص 36.

من خلال تعريف ابن منظور يظهر لنا أنه قصر الشخص على معنى الذات الظاهر للعيان.

- وجاء في المعجم الوسيط :"شخص، شخوص: ارتفع وبدا من بعيد ...والشخص كل جسم له ارتفاع وظهور...، ومنه الشخص الأخلاقي، وهو من توافرت فيه صفات تؤهله للمشاركة العقلية والأخلاقية في مجتمع إنساني..، والشخصية: صفات تميز الشخص من غيره ، ويقال فلان ذو شخصية قوية، (ج) أشخاص وشخوص والشخصية هو الشخص ذو صفات متميزة، وإرادة كيان مستقل ." [1]
- أما في معجم مقاييس اللغة فقد جاء:" الشين والخاء والصاد أصل واحد يدل على ارتفاع في الشيء، من ذلك الشخص وسواد الإنسان، إذا سها من بعيد ثم يحمل على ذلك فيقال شخص من بلد إلى بلد...ومنه أيضا شخوص البصر. " [2]

فكلمة الشخصية في المعنى اللغوي جاءت بمعنى السمو ،والظهور والارتفاع وقد جاء في القرءان الكريم قوله تعالى: ﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ الأنبياء الآية 97.

[1]- مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004، ص 457.

[2]- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 2008، ج1، مادة شخص، ص 645.

ب – اصطلاحا :

أما من الناحية الاصطلاحية فتعرف الشخصية أنها :" كل مشارك في أحداث الرواية سلبا أو إيجابا، أما من لا يشارك في الحدث لا ينتمي إلى الشخصيات، بل يعد جزءا من الوصف."[1]

هذا يعني أن الشخصية مرتبطة بالحدث ارتباطا وثيقا، والحدث هو الذي يوجد الشخصية، بل ويحددها ويعطيها سماتها.

ويذهب البعض إلى تعريفها بأنها :" الكائن البشري مجسد بمعايير مختلفة، أو أنها الشخص المتخيل الذي يقوم بالدور في تطور الحدث القصصي "[2]

ويذهب عبد المالك مرتاض إلى" أن الشخصية عالم معقد شديد التركيب ، متباين التنويع، وتتعدد بتعدد الأهواء والمذاهب، والإيديولوجيات، والثقافات، والحضارات والهواجس، والطبائع البشرية التي ليس لتنوعها ولا لاختلافها من حدود. " [3]

فهي متنوعة بتنوع الثقافات، فكل يتميز عن غيره من حيث العادات والتقاليد والطبائع، فكل بطباعه الخاصة.

وتعرف أيضا بأنها:" كائن ينهض في العمل السردي بوظيفة الشخص دون أن يكونه تكوينا فعليا في العمل القصصي "[4].

وتطرق أيضا أحمد مرشد إلى تعريف الشخصية الروائية: " بحيث يعدها أحد المكونات الحكائية التي تسهم في تشكيل بنية النص الروائي؛ وهذا يعني أن الشخصية

---

[1]- عبد المنعم زكرياء القاضي: البنية السردية في الرواية، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2009، ص 68.

[2]- جميلة قيسمون: الشخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 13، 2000، ص 196.

[3]- عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية- بحث في تقنيات السرد -، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، 1998، ص 73.

[4]- عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي - معالجة تفكيكية سيميائية مركبة-، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط،1995، ص 126.

هي الإنسان كما نراه في الواقع المرئي، لأنها توحد للبعدين الإنساني والأدبي فهي صورة تخيلية استمدت وجودها من زمان ومكان معينين وانصهرت في بنية الكاتب الفكرية الممزوجة بموهبته، متشكلة فوق الفضاء الورقي الأبيض لتسهم في تكوين بنية النص الروائي (الدال)، وتنجز وظيفتها المسندة إليها تأليفيا وتعكس بعلاقاتها مع البنى الحكائية الأخرى، ظروفا اجتماعية واقتصادية وسياسية، مسهمة بذلك في تكوين المدلول الحكائي، واحتوائه، ومؤثرة تأثيرا فعالا في المتلقي دافعة إياه في إنتاج الدلالة[1].

والشخصية هي خيال يبدعه المؤلف لغاية فنية محددة يسعى إليه[2].

ومن هنا نستنتج أن الشخصية تنتج من عالم الأدب والفن أو الخيال، فهي تركيب أبدعته مخيلة الكاتب داخل النص الروائي، وليست شخصية حقيقية تمثل الواقع المعاش.

ومما تقدم طرحه نرى أن الشخصية تعد أحد المكونات الأساسية في العمل الأدبي أو بالأحرى السردي، وذلك أنها دعامة وركيزة هامة في قيام أي نص، وغيابها غياب للنص ككل، كونها العنصر الفعال والمحرك في تطوير وتنمية العمل الروائي.

2- **أنواع الشخصية** :

أ- **الشخصية الرئيسة (المحورية)**: وهي التي تنهض بمهمة رئيسة وبالدور الأكبر في تطور الحدث، ولها القدرة في تقديم الموقف والقضايا الإنسانية التي يطرحها العمل

---

[1]- أحمد مرشد: البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، ص ص 35 ، 36.

[2]- حسن البحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص 213.

تقديما حيويا .وفي هذا يقول انريكي أندرسون :" توصف الشخصيات بأنها رئيسية عندما تؤدي وظائف مهمة في تطوير الحدث "[1].

وليس بالضرورة أن تكون الشخصية الرئيسية بطل العمل دائما، ولكنها هي الشخصية المحورية وقد يكون هناك منافس أو خصم لهذه الشخصية[2].

ب- الشخصية الثانوية :

لا تخلو رواية منها وتأتي مساعدة للشخصية الرئيسية، فهي تشارك في نمو الحدث الروائي وبلورة معناه، والإسهام في تطويره، ويلاحظ "أن وظيفتها أقل قيمة من وظيفة الشخصية الرئيسة، رغم أنها تقوم بأدوار مصيرية أحيانا في حياة الشخصية الرئيسية[3].

كما أنها أيضا تضيء الجوانب الخفية للشخصية الرئيسة، وتساعدها في أداء مهمتها وإبراز الحدث[4].

3- طرق بناء الشخصية :

يعمد الكاتب في رسم شخصيات قصته إلى طريقتين :

أ/الطريقة التحليلية*(analytique)* : التي تعني أن يراقب الروائي الشخصية من الخارج، ويرسمها من الخارج أيضا، ويدرس أفكارها وتطورها وبواعث هذا التطور ويفسر بعض تصرفاتها ويعطي رأيه في أفعالها، ومواقفها على نحو صريح ومباشر.

---

[1]- أنريكي أندرسون: القصة القصيرة (النظرية والتقنية) تر: علي إبراهيم علي، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، د.ط، 2000، ص 239.

[2]- صبحية عودة زعرب: غسان كنفاني: جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار ماجلاوي، عمان، ط1، 2006، ص ص 131، 132.

[3]- شريبط أحمد شريبط: تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة 1947 /1985، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 1998، ص 22.

[4]- ينظر صبحية عودة زعرب: غسان كنفاني: جماليات السرد في الخطاب الروائي، ص 132.

ب/الطريقة التمثيلية*(représentative)* : التي يدع الروائي الشخصية فيها تعبر عن نفسها بنفسها، وبواسطة غيرها من شخصيات الرواية، ويتجنب التعليق عليها على الرغم من ذلك، فإن لكل روائي وسائله المميزة في أداء هذه الفعالية[1].

2/ الشخصيات في الرواية:

تتشكل شخصية أي إنسان من خلال البيئة التي يعيش فيها، كما أن للظروف الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية الدور الأبرز في تشكيل الشخصية بوجه عام، كما أن هذه الأخيرة تتسم بمجموعة من السلبيات تكون تلك الظروف هي مصدرها.

و بالرجوع إلى رواية "شرفة الهاوية" نجد أن الكاتب " إبراهيم نصر الله "تحدث عن تلك السلبيات بكل وضوح وصراحة دون مجاملات، تحدث عن أصناف متعددة ونماذج مختلفة لشخصيات استقاها من الواقع، فتحدث عن شخصية الوزير، والمحامي والأستاذ، والعامل والموظف...، وقد ركز كثيرا عما آلت إليه تلك الشخصيات، فهذه الأخيرة نماذج مختلفة أسقطت من حسابها منظومة القيم وأخلاقيات المهنة، وسار الوطن عندها فرصة لتوقيع صفقة، أو ابتزاز، أو توظيف غير مشروع للصلاحيات .

1- الشخصيات الرئيسية:

تطل علينا رواية " شرفة الهاوية " بثلاث شخصيات رئيسية هي: سلمان بيك (الوزير)، و كريم (الدكتور) ، وديانا (المحامية).

أ- **شخصية سلمان بيك** : تعد هذه الشخصية أكثر الشخصيات حظا في الظهور إلى جانب شخصيتين أساسيتين أيضا .

سلمان صاحب السلطة يصل إلى المجد على أكتاف من هم أقل منه، يستغل منصبه ليسرق كل ما يحتاجه ، يمضي مناضلا وهو يبحث عن طموحه الشخصي خير عملية التحول من المعارضة اليسارية إلى السلطة ليصبح وزيرا فيما بعد وهذا ما طلب

---

[1]- نضال الصالح: النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، منشورات اتحاد العرب، د.ط، 2001، ص 187.

منه " نحن بحاجة إليك... نريدك أن تساعدنا في التحقيق مع أعداء اليسار، وأعداءنا أعداء الوطن والأمة، ومن يسيئون لصورتنا الحضارية في هذا العالم ...سأعينك وزيرا وقد لا يمر وقت طويل قبل أن نعينك رئيسا، اعني رئيسا للوزراء" [1].

سلمان المحامي النقابي الذي "...يتصرف بعقلية رجل أمن حقيقي... مهنته الثانية بعد المحاماة كما يقال، قبل أن يصير وزيرا، فمليونير كبير مساهما في إحدى الشركات ومن بينها تلك الجامعة الخاصة... " [2].

يستعين بأستاذ جامعي هو الشخصية المحورية الثانية، فيشتري من ذكرياته وقصص الحب التي عاشها والقصص العاطفية لينسبها إليه، ويتفاخر بها أمام أصدقائه وهو يصرح بذلك : "لا أنكر أن الحكايات التي أرسلها كريم، إلي كانت رائعة.....اتصلت بكريم وقلت أريد حكايات جديدة " [3] هو لا يختلف عن فاوست الذي باع روحه للشيطان بل إنه فاوست الكبير[*].

في شخصية سلمان تتجمع سمات الرذيلة بتفاصيلها كافة، فهو الغني البخيل "حيث كان مهووسا بحجم ثروته، وتزايدها، بحيث يمكن القول إنه قد تحول كله إلى حاسبة الكترونية عملاقة..." [4].

والنقابي المخادع، والزوج التاجر، والمسؤول الانتهازي، والأب النذل الذي لا يعرف كيف يتعامل مع أولاده، والوزير المزور، والفاسق الذي لا يشرب الخمر حيث

---

[1]- إبراهيم نصر الله: شرفة الهاوية- رواية-، ص 26.

[2]- المصدر نفسه: ص 120.

[3]- المصدر نفسه: ص 151.

[*]- **فاوست**:هو الشخصية الرئيسية في الحكاية الألمانية الشعبية الذي يحقق نجاحا كبيرا ولكنه غير راض عن حياته ، فيبرم عقدا مع الشيطان يسلم إليه روحه في مقابل الحصول على المعرفة المطلقة .

[4]- إبراهيم نصر الله: المصدر السابق، ص 148.

يقول: " كل الأشياء يمكن أن اعتبرها مقبولة بلا حلالا، باستثناء الخمور، إنني اعتبرها الشيء الوحيد المحرم"[1].

والذي يقيم الصلاة ولا يتركها أبدا فكل الأشياء تبدو عنده مقبولة بل حلالا باستثناء ترك الصلاة. هو رجل معطوب في إنسانيته ، يقيم في رأسه ديكتاتور شرس له أن يسال ويجاب، ولا يجيب عندما يسأل، متعدد الوجوه، ولكل وجه قناع، ولكل قناع مواصفات، وفي الأخير يكتشف أن القصص المقدمة إليه ما هي إلا قصص أفلام فيقوم بالتخلص من ذلك الأستاذ بعد اكتشافه أيضا له بالعلاقة التي تدور بينه وبين زوجته بعد ما كانت هاته الأخيرة بالنسبة إليه كل شيء.

ب- شخصية الدكتور كريم:

الشخصية المحورية الثانية، الدكتور الجذاب، والمتربص بالفتيات، والعاشق للكثيرات، الأرمل الذي لم يتزوج بعد المرأة الأولى، ظل يسقط من بداية الرواية حتى النهاية، منحه الله جمالا وعفوية سلبت قلوب النساء"إذ أن لديه قدرة غريبة... مع النساء.... ويمكن أن يحول ابتسامات امرأة متزنة إلى قهقهات، تبتلع أصوات خمسمائة مدعو إنه زير النساء الأول في البلد"[2].

ذلك الدكتور لم يكتف بامرأة واحدة ليصبح له تاريخ من المغامرات فهو: "... لديه حكايات أكثر من شهريار! مغامراته تملا مجلدات... "[3]. لتكون إحدى تلك المغامرات سببا في هلاكه:"... فتلك العلاقة أوشكت أن تدمر حياته الأكاديمية مبكرا إذ تعلقت به إحدى الطالبات، وكان يلتقيها في مكتبه، بل ويغلق المكتب عليهما غير عابئ

---

[1]- إبراهيم نصر الله: شرفة الهاوية- رواية- ، ص 47.

[2]- المصدر نفسه: ص 19.

[3]- المصدر نفسه: ص 20.

بشيء، وحين جاءت ذات يوم وجدت المكتب مغلقا ، جنت ، فبدأت تطرق الباب بهستيريا.."[1].

الأستاذ الجامعي الأنيق حيث" ... يطلق عليه أمير الجامعة، بسبب أناقته الدائمة كان الوجه الحضاري الأنصع بين الجميع! "[(2)]، تقوم تجاربه مع المرأة على الخداع ويستغل مهنته كأستاذ جامعي لاستدراج الطالبات وابتزازهن عن طريق علامة النجاح هي نرجسية تحركها الغريزة، ويقودها الغرور الذي يضرب بعرض الحائط كل القيم العملية والأخلاقية والإنسانية، طرد من الجامعة التي يملكها سلمان بيك بسبب إحدى المغامرات التي بطلتها طالبة اسمها نهى التي هي في نظره " ...الفتاة الخبيثة... التي أوقعته في فخ صغير، كذبة صغيرة حملتها بنفسي... " [(3)]

وبعد مطالعة سلمان بيك لملفه وجمع المعلومات الشخصية عنه، يرجعه إلى عمله بعد المساومة التي قامت على التهديد الناعم والسافر أيضا، يقبل كريم العودة إلى الوظيفة المعلنة ، وهي أستاذ في الجامعة ، والوظيفة الثانية والاهم ، أن يبيع تجاربه وقصصه ومغامراته وذاكرته لسلمان حيث يقول :" بهذا أكون قد بعته حياتي " ! [(4)]

يتعرف كريم على ديانا وتكون هي الأخرى قصة من القصص التي باعها كريم لسلمان تحت عنوان قصة " صاحبة سيارة الكورولا السوداء " فكريم لا يعلم أن ديانا تكون زوجة سلمان بيك ، وهنا تقترب الهاوية وتتداعى أفكار سلمان لتدمير كل ممتلكاته وأمواله وعقاراته، كريم ليس مركب صغير من فاوست ومن نرجسية قائلة قادته لان يكون مسخرة أمام طلابه وطالباته ،ذلك الذي يرى ذاته الأجمل والأذكى والأكثر أناقة وجاذبية.

[(1)]– إبراهيم نصر الله : شرفة الهاوية –رواية-،ص54.

[(2)]- المصدر نفسه: ص 55.

[(3)]- المصدر نفسه: ص 66.

[(4)]- المصدر نفسه: ص 239.

ج- شخصية ديانا المحامية :

الشخصية النسوية الأبرز في الرواية بعد نضج تجربتها مع الشخصيتين سلمان بيك، والدكتور كريم، "...رفضت ستة رجال تقدموا لخطبتها، بمن فيهم سلمان..."[1] لكنها وقعت في شرك هذا الأخير لأنها كما تقول: "... لقد اكتشفت فجأة أن لاشيء يمكن أن يفتنني مثل رجل فصيح!"[2].

وهي سيدة جميلة ومعتدة بنفسها ومحامية ناجحة وهي ديانا التي سماها أباها "...على اسم آلهة القمر والصيد والغابات عند الرومان القدماء!" [3].

جعلها سلمان بيك زوجة له باعتبارها الجمال الباذخ الذي يفخر به، وباعتباره مكملا للديكور الشخصي للمسؤول الكبير، ورجل الأعمال الشهير، فوصفها يفوق الجمال " إذ تبدو ممشوقة بصورة مذهلة...انف دقيق، وعينان عسليتان، واسعتان عميقتان، وشعر طويل يغطي نهديها النافرتين، ووجه صغير اقرب ما يكون إلى وجه فتاة لم تبلغ العشرين، وسمرة مشتقة من قهوة نحاسية لا من الليل... "[4] .

حتى أن الدكتور كريم شبهها بالممثلة "كلوديا كاردينالي، كما ظهرت في فيلم (الفهد)أو (حدث ذات مرة في الغرب)، كلوديا التي جعلتني أحمل فيلميها هذين، من باريس إلى الكويت، إلى عمان !" [5] .

ديانا مثلت نموذجا للجمال الساذج والضمير الحي لكنه العاجز عن الفعل، حيث أنها "...تربح كل قضية تتولاها وتخسر قضيتها الخاصة كل يوم مع أن الزمان أعطاها فرصا كثيرة، وأدلة جديدة "[6].

---

[1]- إبراهيم نصر الله: شرفة الهاوية-رواية-، ص 31.

[2]- المصدر نفسه: ص 36.

[3]- المصدر نفسه: ص 165.

[4]- المصدر نفسه: ص 205.

[5]- المصدر نفسه: ص ص 205 ،206.

[6]- المصدر نفسه: ص 168.

كان لقاءها بسلمان بيك الأول في " تلك المظاهرة التي انطلقت من أمـــام مجمـــع النقابات مطالبة بفك الحصار عن العراق....فقد رأى صورتها في الصـــحف ، وفـــتن بها... "[1].

وتكتشف في سلمان ما خلف قناع الفصاحة، وأول شيء اكتشـــفته البخـــل رغـــم ثروته الطائلة حيث تقول: "...صعقت حين وجدت أنه سجل فيه نوع واسم كـــل هديـــة قدمها لي ، وثمنها منذ أن تزوجنا ! بدءا من هدايا الخطوبة ..." [2] ، كل هذا حرصـــا منه على تلك الأموال التي أنفقتها، أيضا كان حريصا علـــى أن يـــأتي قبـــل وصـــول الموكل، يناقش معه قضيته، وأتعابه المقدمة، والدفعات، ومن أن يخرج الموكل بعـــد أن يدفع للسكرتيرة يناديها سلمان ويستلم المبلغ منها ويخرج ..."[3]، حتـــى انـــه كـــان مهووسا بحجم ثروته وتزايدها بحيث يمكنني القول انه قد تحول كلـــه إلـــى حاســـبة الكترونية عملاقة...[4].

ومن الناحية الفنية، نجد ديانا الحلقة التي ستربط فساد سلمان بيك وفساد الـــدكتور كريم، بعد أن تعرفت إلى الثاني الذي يحول علاقته بها إلى قصته غرامية، فيكون بذلك قد تجاوز كل الحدود فكانت نهايته على يد سلمان .

2- **الشخصيات الثانوية** :

لعبت الشخصيات الثانوية أدوارا متباينة داخل الرواية ، وقد كانت وظيفتها لا تقل قيمة عن وظيفة الشخصيات الرئيسية، فقد ساعدت في إبراز الحدث من أهمها:

أ-**الطالبة نهى**: الطالبة المتفوقة الذكية التي بسببها يتم طرد الدكتور كـــريم مـــن الجامعة، تقدم نفسها بنفسها فتقول : "نهى، نهى راضي ! هكذا أحب أن أقدم نفســـي !

---

[1]- إبراهيم نصرالله : شرفة الهاوية –رواية-، ص 32.

[2]- المصدر نفسه: ص ص 171 ،172.

[3]- المصدر نفسه: ص 101.

[4]- المصدر نفسه: ص 148.

ابنة أسرة ميسورة لم يزل أبي يعمل في واحدة من أهم شركات الاستثمار في مدينة الرياض جئت إلى عمان ...لاستكمال تعليمي الجامعي "...عائلتها متكونة من الأم الأب، الإخوة الثلاثة، والأخت الأصغر، آخر العنقود! " [1]

طالبة مجتهدة لا تكتفي بمحاضراتها المقررة، بل تتطلع لمحاضرات أخرى نالت إعجاب الدكتور كريم حيث وصفها "... بأنه لم تكن هناك طالبة بربع جمالها، لم تكن هناك طالبة أو امرأة عرفتها من قبل في باريس، أو هنا بخمس جمالها !حتى زوجتي المرأة الأروع لم تكن بجمالها! " [2]. حاول الدكتور كريم إغواءها، والسيطرة عليها لكنها بدهائها وذكائها تغلبت عليه، وذلك عندما ادعت أن سلمان بيك خالها، وسألته كنت تتحدث مع احمد سائق خالي سلمان..ألا تعرف انه خالي ! كنت اعتقد انك تعرف... [3].

بهذه الكلمات استطاعت أن تجعل منه فريسة سهلة، فهو يرى "...بأنها مثل أي غزالة ابتعدت كثيرا عن قطيعها ن وأصبح التهامها سهلا، لكنها استطاعت أن تلتهم ذلك النمر أو الضبع الذي يفكر في التهامها ، نجحت أن تلتهمني، تلتهم هذا الكهل مرتين، مرة أمام الطلبة بذكائها المفرط، ومرة بدهائها حين جعلتني اركض بنفسي للوقوع في فخ سلمان بيك، داهية...!" [4]

ب- سهاد: سكرتيرة عميد الكلية، بشوشة وسعيدة ،كانت في أوائل الأربعينات من عمرها، أنيقة دائما، لم تكن خارقة الجمال، أعلى من المتوسط مرحة، كما يراها الدكتور كريم، كانت معجبة بهذا الأخير جدا، لكنها لم تصارحه بذلك أبدا.

---

[1]- إبراهيم نصر الله: شرفة الهاوية-رواية-، ص 14.

[2]- المصدر نفسه: ص 66.

[3]- المصدر نفسه: ص 93.

[4]- المصدر نفسه: ص 207.

ج-أحمد سائق سلمان بيك: هو إنسان طيب فعلا، وهو ابن شهيد سقط على ارض فلسطين، أحمد لا يريد سوى أن يعمل ويطعم أبناءه، وهو سائق جيد والاهم ملتزم بالمواعيد، ولا يحب الكلام، وان كان يعاني من نقص واحد هو رغبته الدائمة في سماع نشرات الأخبار، وهو رجل نحيل في الخمسين من عمره، بعينين واسعتين ووجه أشبه ما يكون بعلامة سؤال كبيرة.

د-ردينة: الطالبة الجامعية صديقة نهى كانت تحضر إلى الجامعة في سيارة مرسيدس سوداء وهي كما تقول :"أنا ابنة سلمان سعود، أنه صاحب الجامعة التي ندرس أنا وإياك فيها..." [1] تعيش في شقة صغيرة متواضعة مع أمها نورة وأخيها خالد.

هـ- نورة أم ردينة: وبالأصح الزوجة الأولى لسلمان بيك، وهي ابنة خالته مريم تصفها نهى "...كانت أمها - تعني ردينة- بحجمها الصغير، وعينيها المضيئتين وبشرتها المائلة إلى البياض أشبه بلعبة..." [2] حتى أن نهى لم تعرف أنها أم ردينة صديقتها لو لم تخبرها .

و- الطالبة سامية : سامية رمضان، أو كما يراها الدكتور كريم شبيهة نهى التي عدها الحكاية الأخرى التي سيرضى بها سلمان بيك، حيث يقول: " لتكن سامية آخر مغامراتك الجامعية انتهل منها حتى الارتواء، حتى النهاية ، حتى القرف! كما فعل زوبا في رواية كازنتزاكي حيث التهم تلك الكمية الهائلة من الكرز، الكرز الذي طالما اشتهاه "[3]. لكن في النهاية تتغلب عليه هي الأخرى، وتسبب له صدمة.

---

[1]- إبراهيم نصر الله: شرفة الهاوية- رواية-، ص 56.

[2]- المصدر نفسه: ص 52.

[3]- المصدر نفسه: ص 262.

ز- مدير مكتب سلمان : هو موظف عند سلمان بيك ، مكلف بتنظـــيم وتســـيير أمور هذا الأخير وشؤونه، وصفه كريم بقوله :"...طويل بشاربين أســـودين كثـــين...، ووجه مدبب كحافة مسطرة معدنية ، ونظرات دوارة تحاول استكشاف كل ما حوله في اللحظة ذاتها..." [1].

ح- فيروز صديقة ديانا: كانت مثال الصديقة الوفية التي تستند عليها ديانـــا فـــي الأوقات كلها سواء الصعبة أو السعيدة ، كانت دائما تدلي بنصائحها وتساعدها في حل مشاكلها .

نستخلص في الأخير أن إبراهيم نصر الله في بناء شخصياته اســـتعمل الطريقـــة التمثيلية ؛ حيث أنه ترك للشخصية فرصة التعبير عن نفسها. فكل شخصية في الرواية تتحدث عن نفسها وتتحدث عن غيرها، ولا يتدخل الراوي إلا في حالة الرغبة في إلقاء مزيد من الضوء على شخصية سلمان.

[1]- إبراهيم نصر الله: شرفة الهاوية- رواية-، ص 42.

الفصل الثاني

جدلية المثقف والسلطة في رواية شرفة الهاوية

أولا : تواطؤ النخبة وانهيار المجتمع

1/ الحدث الروائي

2/ أسباب الانهيار الاجتماعي:

أ- السرد وتجلى الواقع الاجتماعي

ب- تداعي القيم

ثانيا: سقوط المثقف

1/ الوزير وغواية السلطة

2/ الأستاذ(المعرفة وواقع النخبة)

3/ المحامية وغياب العدالة.

أولا: تواطؤ النخبة وانهيار المجتمع

1- الحدث الروائي

يعد الحدث في الرواية بمثابة العمود الفقري الذي تقوم عليه بنيتها، فالروائي ينتقي بعناية وباحترافية فنية الأحداث الواقعية، أو الخيالية التي يشكل بها نصه الروائي، فهو يحذف ويضيف من مخزونه الثقافي، ومن خياله الفني ما يجعل من الحدث شيئا مميزا مختلفا عن الوقائع في عامل الواقع [1].

وعليه يعرف الحدث في الرواية بأنه ": تضارب القوى المتعارضة أو المتلاقية الموجودة في أثر معين، فكل لحظة في الحدث تؤلف موقفا للنزاع، تتلاحق فيه الشخصيات، تتحالف أو تتجابه"[2]. فهو إذا عنصر أساسي لا يمكن الاستغناء عنه في بنية الرواية، فبه تتحدد أهمية العمل، ويتقرر مدى نجاحه أو فشله.

وفى مصطلح بارت" فإن الحدث مجموعة من الوظائف يحتلها العامل نفسه أو العوامل، فعلى سبيل المثال فإن الوظائف المنوطة بالذات في سعيها نحو الهدف، تشكل الحدث الذي نسميه مطلبا" [3].

ويدخل الحدث الروائي في علاقات مع المكونات السردية الأخرى، وتتضح علاقته بالشخصيات من خلال أن لكل فعل فاعل، فالشخص أو الكائن الحي في الرواية هو الذي يقوم بالأحداث ويسيرها وفق دوره المكلف به في العمل الروائي. فهو يرسم حالات الشخصيات ومشاعرها، وتنوع الأحداث وتطورها يخوض بالقارئ في قراءة الرواية. " ويكون لكل حدث بداية ووسط ونهاية، ويجب أن تتوفر فيه العناصر والأجزاء التي

---

[1]- بعيطيش يحي: خصائص الفعل السردي في الرواية العربية الجديدة، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، العدد8، جانفي 2011، ص6 .

[2]- رولان بورونوف،ريال أونيليه: عالم الرواية، ت: نهاد التكرلي، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ط1، 1991، ص144.

[3]- جيرالد برنس : المصطلح السردي، تر:عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، د.ط، 2003، ص19.

تزينها؛ إلا أنه ليس هناك معيار أو شكل معين لبناء الحدث ... فالكاتب له مطلق الحرية في اختيار اللحظة التي يبدأ منها" [1]. فقد يبدأ قصته من أول أحداثها ثم يتطور بأحداثه وشخوصه تطورا أماميا متبعا المنهج الزمني... وقد تبدأ القصة بنهايتها، فيصور الحادثة ثم يعود بنا إلى الخلف كي نكتشف الأسباب والأشخاص ... وقد يتبع أسلوب اللاوعي والتداعي، فيبدأ من نقطة معينة ويتقدم ويتأخر حسب قانون التداعي ....كل ذلك متروك لعبقرية الكاتب وتمكنه من أدوات الكتابة [2]. المهم أن تكون البداية الساخنة، التي تقوم بعملية جذب القارئ، وفيها يهيأ ذهنه للمرحلة الآتية.

الحدث في الرواية :

شخّص إبراهيم نصر الله روايته "شرفة الهاوية " بأحداث متعددة، حاول من خلالها طرح وقائع حقيقية، وبما أن الرواية يدور موضوعها حول المثقف والسلطة؛ فأنها جاءت تتمحور حول حدث رئيسي تمثل الصراع بين المثقف، أو حياة المثقف وما آلت إليه، بحكم المنصب الحساس الذي يشغله.

وقد أصبحت الشخصيات المحورية تستأثر بمجريات الحدث، وتتولى عملية الصياغة الروائية من خلال همومها، وطموحاتها، وصراعاتها.

ويبدأ الحدث منذ افتتاحية الرواية، منذ مقتل الدكتور كريم في حفل توقيع كتاب قد ألفه هو، يقول: " أمسكت بالكتاب، كتابي، وأبعدت الغلاف، فبدت الصفحة البيضاء مستعدة على نحو كامل لاستقبال تلك الكلمات التي سأكتبها ... ونظرت إلى الشاب منتظرا أن ينطق اسمه لكنه لم يفعل... سألته: اسمك من فضلك! قاتلك! ماذا؟! قاتلك!

---

[1]- حسن شوندي،آزاده كريم: رؤية العناصر الروائية، فصيلة دراسات الأدب المعاصر، السنة الثالثة، العدد10 ،1390، ص ص 52، 53.

[2]- صبحية عودة زعرب: غسان كنفاني- جماليات السرد في الخطاب الروائي-، ص135.

وقبل أن أظهر أي علامة استنكار لمزاج بهذا الثقل، أحسست بطعنتين عميقتين تشقان جسمي، والصفحة البيضاء يحتلها السواد"[1].

بعدها ذكر الكاتب حدثا آخر وهو ذهاب الطالبة نهى إلى بيت عمها لإكمال دراستها حيث تقول: " عانقني أبى في المطار في تلك الظهيرة من نهايات شهر آب اللهاب ... وفي مطار الملكة علياء الدولي في عمان وجدت عائلة عمي محمود في انتظاري" [2].

الحدث الثالث: اللقاء الذي جمع بين الدكتور كريم والوزير سلمان بيك فيقول عن ذلك اللقاء: " لم أعرف الدكتور كريم حين وقعت عيناي عليه في ذلك الحقل الفرنسي،لأنني لم أقابله من قبل ...همست لمدير مكتبي: أريد لمحة موجزة عن ذلك الرجل ! رد باستغراب: أنت لا تعرفه سلمان بيك؟! أنه الدكتور الذي أعطيت الأمر بفصله من الجامعة بنفسك "[3]. وبعد هذا اللقاء بينهما يدعو الوزير الأستاذ كريم إلى مكتبه من أجل مصالحه الشخصية، فيقترح عليه أنه سيعيده إلى الجامعة مقابل أن يبيعه أحلامه وذكرياته التي عاشها أو بالأحرى غرامياته ليتباهى بها في مجالسه أمام الوزراء الكبار.

الحدث الرابع: ذهاب سلمان بيك لخطبة المحامية ديانا في بيتها، وقد كان اللقاء الأول بينهما في تلك المظاهرة التي شاركت فيها ديانا حيث تقول :" كان قد رانى أول مرة في تلك المظاهرة التي كانت السبب الأول في لقائي بسلمان، فقد رأى صورتي وفتن بها "[4]. لكن ديانا في بادئ الأمر رفضت، وبإسرار من أمها قبلت مقابلته، فكانت النتيجة في الأخير هي القبول به.

---

[1]- إبراهيم نصر الله : شرفة الهاوية – رواية، ص9.

[2]- المصدر نفسه: ص30.

[3]- المصدر نفسه: ص19.

[4]- المصدر نفسه: ص32.

الحدث الخامس: هو اللقاء الذي جمع بين الطالبة نهى والدكتور كريم فقد سمعت عنه الكثير في السنين الثلاث الأولى في الجامعة، حالة استثنائية من القدرة علي نيل الإعجاب بجنون"... سألني عن اسمي: نهى، نهى راضي، رحب بي قبل أن يبدأ المحاضرة ... في ذلك اليوم، كانت محاضرته مع طلبته حول فيلم عنوانه (ملقى بعيدا أو ***CastAxay*** الممثل توم هانكس" [1]

الحدث السادس : هو اللقاء الذي جمع بين الدكتور كريم وسلمان بيك في الفيلا ": كانت الفيلا كما تخيلتها، على قمة عالية في المنطقة ديَرْ غْبَار، تطل علي مدينة عمان كلها" [2]. " بعد مدة أطل سلمان بيك، فلمحت عبر ذلك الفراغ الذي لم يستطع جسده الصغير أن يسده من الوجوه التي أعرفها جيدا، صافحني وقال: أعذرني، تأخرت عليك؟ أرجوا أن يكونوا قد قدموا إليك كل ما تحتاجه!" [3]

وهنا التقى الدكتور كريم مع أساتذة الجامعة التي كان يدرس فيها قبل أن يطرد، وفي هذا اللقاء قرر سلمان بيك إعادته إلى العمل فيها، حيث يقول: " ... اسمحوا لي أن أرحب بكم أولا، وأرحب بشكل خاص بزميلكم الدكتور كريم، الذي سينظم إلى أسرة الجامعة من جديد، اعتبارا من صباح الغد... " [4].

الحدث السابع: هو الاتفاق بين سلمان بيك والمحامية ديانا - زوجته - بفتح مكتب مشترك بينهما : " تخيلي: مكتب المحاميين ديانا شاهين وسلمان سعود؟ " [5].

لكن بعد مدة قرر سلمان فسخ هذه الشراكة فيقول: " أظننا مضطرين إلى فسخ شراكتنا في المكتب، لأنني سأعمل في قضايا بعيدة عنه، لا أستطيع شرحها الآن!"[6] .

---

[1]- إبراهيم نصر الله : شرفة الهاوية – رواية، ص37.

[2]- المصدر نفسه: ص42.

[3]- المصدر نفسه: ص44.

[4]- المصدر نفسه: ص45.

[5]- المصدر نفسه: ص59.

[6]- المصدر نفسه: ص64.

الحدث الثامن: موت زوجة الدكتور كريم ريما، هذه الأخيرة التي كانت في حالة وضع، لكنها أصيبت للأسف بنزيف شديد، ولم يستطع الأطباء إنقاذها.

الحدث التاسع: أخبرت الطالبة نهى الدكتور كريم أن سلمان بيك يكون خالها استخدمت هاته الحيلة من أجل أن تنجح في الاختبار، ذلك أن الدكتور كريم تتغير ملامحه كلما ذكر اسم سلمان بيك فتقول: "سألته: كنت تتحدث مع أحمد سائق خالي سلمان؟! هل سلمان بيك خالك؟! ألا تعرف أنه خالي! كنت اعتقد أنك تعرف... فتغيرت ملامحه فجأة"[1].

الحدث العاشر: تعيين سلمان بيك وزيرا، وبهذا يحصل على المكافأة الكبرى، فهذه الأخيرة " أقصى ما يمكن أن يصل إليه سلمان بيك من مناصب.لا يتعلق الأمر هنا بقدراته، بل بوزنه الاجتماعي! ".

الحدث الحادي عشر: اللقاء الأول الذي جمع بين المحامية ديانا والدكتور كريم في "حفل تكريم يقام على شرف المؤرخين في مركز الحسين الثقافي..." [2]. وفي ذلك اللقاء أعجبت به فتصفه قائلة: "...سمعت مستوى آخر من الكلام جمدني مكاني ...راح يتحدث بفصاحة وجمال وعمق وتأثر... وحين انتهى، وجدت نفسي أصفق، وهنا التقت عيناي بعينيه لأول مرة" [3]. وهنا كان اللقاء الأول والإعجاب المتبادل بينهما.

الحدث الثاني عشر: مرافقة ديانا زوجها الوزير سلمان بيك إلى احتفال أقامه لبيع إحدى الشركات الخاصة التي يملكها وتعترف له بأنه وأصدقائه بأعمالهم تلك هم يواصلون انتهاكهم لهذا البلد [4].

---

[1]- إبراهيم نصر الله: شرفة الهاوية – رواية- ، ص91.

[2]- المصدر نفسه: ص114.

[3]- المصدر نفسه: ص201.

[4]- ينظر المصدر نفسه: ص ص 221، 222.

الحدث الثالث عشر: معرفة ديانا أن الدكتور كريم يبيع ذكرياته إلى سلمان بيك فتقول: " ما علاقتك بسلمان سعود!... تصفه شاعرا، هذه دمرتني! ودمرتك في عيني! أنا أعرف أن الجامعة التي تعمل فيها، هي له تقريبا" [1].

وتفطنت في الأخير إلى أن معظم القصص، هي قصص أفلام " قصة فيلم (سويت نوفمبر)، وأخرى هي قصة (9 أسابيع ونصف) مع تعديلات بسيطة لم تسقط ذلك الجنون الجسدي العاتي ...وقصة أخرى بدت أنها قصة فيلم بالتأكيد" [2].

فاعترف الدكتور كريم بذلك وأخبرها أن سلمان ...طلب مجموعة من القصص العاطفية لسبب رفض توضيحه، لأنه هو من يملك قرار بقائه وفصله من الجامعة. والسبب الذي دفع سلمان لطلب القصص" هي أنه كان يرويها في سهراته باعتبارها من مغامراته؟! لقد سرقها! لم يكف هذا الرجل كل ما سرقه، فامتدت يداه حتى إلى قصص الآخرين، حياتهم، وسرقها، ادعاها، اغتصبها "[3].

الحدث الرابع عشر: إهانة أحد المسؤولين الكبار لسلمان وإخباره أن معظم القصص التي يرويها هي قصص أفلام، فيقول: " جلسة ليس فيها سوى إعادات باهتة لحكايات الأفلام، مشاهدة الأفلام أفضل منها!" [4].

وهنا يكتشف سلمان بيك أن الحكايات التي بعثها له الدكتور كريم هي حكايات أفلام فتبدأ " ألسنة النار تتصاعد من جسد سلمان بيك" [5]، والشيء الذي يبهره ويصعقه قصة (صاحبه الكورولا السوداء)، وهنا يقرر سلمان بيك التخلص من الدكتور كريم، فقد

---

[1]- إبراهيم نصر الله: شرفة الهاوية – رواية-، ص288.

[2]- المصدر نفسه: ص290.

[3]- المصدر نفسه: ص294.

[4]- المصدر نفسه: ص310.

[5]- المصدر نفسه: ص 318.

امتدت يدا هذا الأخير حتى إلى زوجته، فيقتله في حفل توقيع (كتاب الدكتور كـــريم) وهنا نعود إلى الحدث الأول الذي بدأ به الكاتب إبراهيم نصر الله.

الحادث الخامس عشر: والحدث الأخير الذي اختتم به الكاتب إبـــراهيم نصـــر الله روايته هو اقتراح مدير مكتب سلمان بيك بأن يستبدل قصص وغراميات الدكتور كـــريم بحكايات وبطولات كلها صبر واحتمال [1].

فعند قراءة الحدث، يكتشف القارئ أن الشخصيات الواقعيـــة تحيـــل لشخصـــيات سياسية معروفة، في الواقع اليومي كما الإشارة لوزراء ومسؤولين، من خلال الاستعانة بأحاديثهم في مجالس التباهي بإنجازاتهم عقب مغادرة مناصبهم:

- الوزير لا يتقن شيئا مثلما يتقن انتهاك الأوطان.
- الأستاذ الجامعي يتقن التحرش بطالباته وإغوائهن.
- ومحامية تتقن افتقادها لتحقيق العدالة لنفسها.

وكلها شخصيات واقعية ونماذج تتساقط، في فترة زمنية يتم فيهـــا تحويـــل حتـــى الذكريات والأحلام لسلعة تباع وشريحة اجتماعية تعيش علي النهب، والسرقة والفساد.

نستخلص في الأخير أن إبراهيم نصر الله اعتمد على النسق الـــدائري فـــي بنـــاء الأحداث، وهذا النسق يعتمد علي تقنية تدوير القارئ، إذ يقوم بسرد حـــدث معـــين ثـــم يضمنه أحداثا أخرى، ويراد به أن الأحداث تبدأ من نقطة في النهاية، ثم تعود إلى نفـــس النقطة التي بدأت منها، وهذا ما لمسناه عند الروائي.

2- أسباب الانهيار الاجتماعي:

أ- السرد وتجلى الواقع:

يعد السرد العنصر الأكثر فاعلية بين عناصر البناء في الـــنص الروائـــي خاصـــة والحكي عامة. مع أنه يتضافر جنبا إلى جنب مع بقية العناصر البانية، والسرد هو الذي

[1]- ينظر إبراهيم نصر الله: شرفة الهاوية – رواية-، ص ص 328، 329.

يحتم الطريقة التي تحكي بها القصة، ذلك أن هذه الأخيرة من الممكن أن تحكى بطرائق متعددة، ولهذا فانه هو الذي يعتمد عليه في تميز أنماط الحكي بشكل أساس [1].

وتعد الرواية أكثر فنون الأدب التصاقا بالواقع، " فهذا الأخير هو الموضوع الأساسي إن لم يكن الأوحد، وهو واقع المجتمع وواقع الإنسانية كلها، ويتجسد في حياة الإنسان في بيئة معينة، وفي وضعه الاجتماعي بما يطبعه من بؤس ورخاء، وعلائقه بالإنسان، وموقفه من الأنظمة والقوانين الدينية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية وأخيرا في مشاعره وأحاسيسه وعواطفه، إنه واقع واسع يشمل مظاهر الوجود الإنساني في مجتمع معين" [2].

وأهم جانب يلتفت إليه الأديب الواقعي هو الجانب الاجتماعي لذا فهو يولي عناية خاصة بالصراع الطبقي، كما يولي عناية كبيرة بتحديد الأزمات الاجتماعية، وبيان أسبابها وأثارها، فيكون بذلك شاهدا علي الواقع الذي يعيش فيه[3].

وبالرجوع إلى الرواية نجدها تنتمي إلى الرواية الواقعية النقدية، هذه الأخيرة تعنى برصد تشوهات المجتمع بدماره وفقره، دون أن يكون لديها أمل في التغيير، فهي لا ترى أي بصيص للنور في نهاية النفق. " لكنها تعتمد علي الصدق الفني في دفاعها عن القيم الجميلة للإنسانية، وذلك عن طريق تعرية الواقع، وكشف الجوانب الحائرة وشجب قواه الظالمة في اكتساحها الشرس، والأحمق للبناء الداخلي والسامي للإنسان" [4].

إبراهيم نصر الله يقدم نموذجا للواقعية النقدية عبر رواية "شرفة الهاوية" ، ففي هاته الرواية يتجلى الصدق الفني لدى الكاتب في فضح الفساد ، فهو رسم لوحة عن المثقف

---

[1]- حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي ، بيروت، د.ط ، 1993، ص 45.

[2]- محمد مصايف: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984، ص290.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص 291.

[4]- محمد كمال الخطيب، عبد الرزاق العبيد:عالم حنا مينا الروائي، دار الآداب، بيروت، د. ط ، 1979، ص150.

العربي وما آل إليه في النهاية، وزير متنفذ، وأستاذ جامعي، ومحامية. شخصيات منقسمة في عالم منقسم، تتحرك في مدى زمني يمتد عشرين عام قبل الثورات العربية حتى لحظة الانفجار الكبير، هذا الأخير هو" انتفاضة شعبية غير مسبوقة ...احتجاجا على الأوضاع المعيشية، والسياسية، والاقتصادية السيئة وما اعتبر فسادا في ذلك الوقت"."وكانت الثورة التونسية الشعبية التي أعقبت قيام الشاب التونسي محمد بوعزيزي بإحراق نفسه، قد أطاحت بالرئيس التونسي... قبل عشرة أيام... لكن لم يتسن لهذا الشاب البقاء حيا ليرى ثمار الانتفاضة التي أشعلها". [1]

هذه الرواية اهتمت بنقد الواقع، وتصوير الصراعات السياسية ، وإفرازاتها علي الفرد والمجتمع ، بأسلوب واقعي دقيق يتسلل من خلاله القارئ إلي أحوال المجتمع. فالحياة سلسلة من المتواليات السردية "أو كما قال ريكو: تروى الحياة ويعاش السرد" [2].بهذا المعنى مثل نصر الله هوايات شخصياته، فالوزير لا يتقن شيئا مثلما يتقن انتهاك الأوطان، والأستاذ لا يتقن مثلما يتقن التحرش بطالباته، كالطالبة التي كانت تحبه وتضبطه في المكتب مع طالبة أخرى، والطالبة نهي راضي، والطالبة سامية هذه الأخيرة التي تكون آخر مغامراته الجامعية [3].

والمحامية أيضا التي لا تتقن شيئا مثلما تتقن افتقادها لتحقيق العدالة لنفسها فهي محامية"... تربح كل قضية تتولاها وتخسر قضيتها الخاصة كل يوم ..." [4]

إبراهيم نصر الله يصور تجليات الوسط الاجتماعي المحيط بهذه الشخصية التي دفعها إلي الكشف عما يعتمل في داخلها، من قلق وخوف بسبب العادات الاجتماعية .

---

[1]- إبراهيم نصر الله: شرفة الهاوية – رواية، ص325.

[2]- عبد الله البريمي: موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث،ص18.

[3] - إبراهيم نصر الله: المصدر السابق، ص262.

[4]- المصدر نفسه: ص168.

تحدث عن الواقع للمجتمع من خلال موضوعات، ونمذجة الشخصيات ذات الصلة بهذا الواقع، من أجل أن تكون الرواية انعكاسا لواقع مجتمع ورصد لأهم مشكلاته بطريقة معيشة أفراده وأنماط تفكيرهم، وذلك بغض النظر عن الرواية الواقعية في تحققها الأسلوبي، والجمالي، وما رواية" شرفة الهاوية " لكاتبها إبراهيم نصر الله، إلا مثلا للصراع والانتقام، وأخيرا الهاوية التي وقعت فيها كل شخصية، فهو تعامل مع مختلف الموضوعات: مثل الجنس، والسلطة، والثروة، والجسد، والمرأة، وغياب العدالة.

وكل هذا يؤكد أن الروائي قد أدرك دوره في الحياة ، وأنه محصلة لعلاقاته الاجتماعية لا يمكنه الفرار منها أو الانعزال عن تأثيراتها، خصوصا في ظل الظروف السياسية التي عاشها المنطقة.

فالروائي نصر الله استلهم موضوعه هذا من واقع المجتمع العربي، وما يعكسه من قضايا وإشكاليات عامة، وجدت صداها العميق على مستوى البنية الحكائية، وهذا يدل على العلاقة التفاعلية بين المرجع الواقعي وفعل الحكي الروائي. فهو يسرد روايته وهذا السرد واضح جدا يلتقطه المتلقي إلي أن تنتهي الحكاية في خاتمة الرواية. يسرد عليه حكاية مستمدة من الواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه، كما يزيد الحكاية وضوحا تسمية الشخصيات بأسماء يعرف مثيلا لها، ويقيم علاقات بينها مناظرة للعلاقات بين الناس في المجتمع الخارجي الحقيقي، وهذه العلاقات تجعل المستوى الواقعي أكثر وضوحا لدى المتلقي، وخصوصا علاقات الحوار والموقف من المرأة والعلاقات الاجتماعية والعاطفية بين الجنسين.

ب – تداعي القيم:

القيم هي مجموعة الصفات الأخلاقية التي يتميز بها البشر، وتقوم الحياة البشرية عليها، ويتم التعبير عنها باستخدام الأقوال والأفعال. وتعرف أيضا :" أنها مجموعة من المبادئ، تعمل علي احترام الإنسان لنفسه وللآخرين كقيمة يتميز بها الإنسان، وتكون

الوازع النفسي الذي يمنعه من الانحراف عن الصلاح. وذلك لصياغة سلوكه وتصرفاته في إطار محدد يتفق وينسجم مع المبادئ والقواعد التي يؤمن بها بقية أفراد المجتمع" [1].

وتتميز القيم بأنها صفة من الصفات الإنسانية، والتي يسعى كل فرد للمحافظة عليها، وهي تحتوي على جانبين أحدهما ايجابي والآخر سلبي. وتكمن أهمية الحفاظ عليها أنها تساهم في تغيير السلوك السيئ وتحويله إلى جيد، وهي ترتبط بالإرادة البشرية والتي تدفع بالإنسان للالتزام بالقيم التي هي وسيلة من وسائل نهوض المجتمع.

وبالرجوع إلى رواية " شرفة الهاوية " نجد أنها رواية انحدار القيم، فالشخصيات فيها مثقلة بعيوبها، وتتصرف في كثير من الأحيان وكأن سلوكها المتجاوز لكل القوانين والقيم، والأعراف سلوك عادي. فشخصية مثل سلمان هي تطبيق لمقولة " السلطة لا تغير الأشخاص، هي فقط تكشف حقيقتهم "[2]. فهو في شخصيته تتجمع صفات الرذيلة بتفاصيلها كافة، فهو الغني البخيل"...حيث كان مهووسا بحجم ثروته وتزايدها..." [3]

والنقابي المفوه والوزير المزور، والفاسق الذي لا يشرب الخمر ويقيم الصلاة فيقول :"...كل الأشياء يمكن أن أعتبرها مقبولة بل حلالا، باستثناء الخمور، أنني أعتبرها الشيء الوحيد المحرم ..." [4]. ويقول: " ... كل الأشياء تبدو مقبولة، بل حلالا بالنسبة إلي باستثناء ترك الصلاة ..." [5]

وتصفه ديانا فتقول:"... كان يمكن أن تقول: أتحدث مع تاجر سأصدقك، مع سمسارا أراضي! مع مهرب ! مع قاطع طرق! مع تاجر أعضاء بشرية ..." [6]

---

[1]- على بن مسعود بن أحمد العيسى: تنمية القيم الأخلاقية ، رسالة ماجستير، كلية التربية قسم التربية الإسلامية والمقارنة، المملكة العربية السعودية، 1430، ص 80.

[2]- محمد عبد القادر: إبراهيم نصر الله في (شرفة الهاوية) : مرارة الواقع في مرايا فاوست، مرجع سابق.

[3]- إبراهيم نصر الله : شرفة الهاوية - رواية- ، ص148.

[4]- المصدر نفسه : ص47.

[5]- المصدر نفسه: ص 307.

[6]- المصدر نفسه: ص 288.

هو رجل معطوب في إنسانيته يقيم في رأسه ديكتاتور شرس، يملك السلطة باعتبار أن هذه الأخيرة هي ضرورة لتنظيم العلاقات بين الأفراد والجماعات في مجتمع يستلزم وجود جهاز أو آلية تستطيع القيام بهذا الدور، فمن خلال تنازل الأفراد عن بعض حقوقهم وصلاحيتهم للسلطة الحاكمة تتمكن هذه الأخيرة من تنظيم أمور المجتمع وضمان أمنه واستقراره، عن طريق فئة قليلة من الأفراد.

وتعرف السلطة أيضا:" أنها قوة ذات طابع نظام رسمي ترتبط بمنصب أو موقع معترف به في المجتمع، وتخول صاحبها حق إصدار القرارات المستمدة من القوانين الوضعية والتي لها صفة الإلزام بالنسبة له وللآخرين، وهي ترتبط بالنفوذ الذي تعتبر قوته غير نظامية، وتتمثل في القدرة على التأثير في صانعي القرار السياسي، وتوجيه الرأي العام من أجل تحقيق أهداف معينة "[1].

فسلمان الذي لا يهمه سوى السلطة التي تتعلق بالامتيازات والمكانة السامية والثروة فهو فاوست كبير باع روحه للشيطان يتطلع دائما للأعلى، همه المكانة والشهرة والافتخار، والسلطة التي يستعملها على غيره ويطبقها عليهم، همه الوحيد المنفعة والمصالح الشخصية.

والدكتور كريم هذا الأخير الذي يمثل النرجسية، باع روحه (ذاكرته الغرامية) لسلمان بيك مقابل أن يعيده إلى العمل. كريم يعتقد بأناقته وجماله يمكن أن يسلب قلوب طالباته وذلك أيضا لقاء منحهن العلامة الكاملة في الامتحان، وتصرح بذلك إحدى الطالبات :"... في أول امتحان اقترب مني، وكنت منهمكة في الإجابة على أسئلته. دس ورقة صغيرة تحت ورقة امتحاني وابتعد ...وكم فزعت حين رأيت ورقة بيضاء مكتوب عليها رقم موبايل !..." [2].

---

[1]- عبد الحليم الزيات: سوسيولوجيا بناء السلطة، الطبقة، القوة، الصفوة، دار المعرفة الجامعة، الإسكندرية، د.ط، 1990، ص ص 122، 123.

[2]- إبراهيم نصر الله : شرفة الهاوية - رواية- ، ص50.

هي نرجسية تحركها الغريزة ويقودها الغرور الذي يضرب بعرض الحائط كل القيم العلمية، والأخلاقية، والإنسانية، فبدل أن تكون لديه قيم حميدة هذه الأخيرة التي تكمن أهميتها " أنها تؤدي إلى سيادة نوع من الخصال الخلقية ونمط من السلوك الذي يتعامل به الفرد والجماعة، يسهم في رعاية حقوق الإنسان وحرياته من الانتهاك" [1]. لكن في الرواية كان العكس نجد قيم سيئة يملكها أستاذ جامعي مما يجعل منه مسخرة أمام طلابه وطالباته في إحدى محاولاته الفاشلة في اصطياد طالبة والالتقاء بها في أحد الفنادق، فإذا به يقع في فخ منصوب بمهارة ودهاء. [2]

ولا ننسى ديانا زوجة سلمان بيك الحلقة التي ستربط بين فساد سلمان وفساد كريم بعد أن تعرفت علي هذا الأخير الذي حول علاقته بها إلى قصة غرامية.

فهذه الرواية أسقطت من حسابها منظومة القيم وأخلاقيات المهنة، وصار الوطن عندها مجرد صفقة، أو توظيف غير مشروع للصلاحيات، همها الوحيد المنافع والمصالح الشخصية ولا يهمها إذا كانت هذه الأخيرة ضمن القيم الأخلاقية الجيدة أو المنبوذة.

---

[1]- منير حميد البياتي: حقوق الإنسان، سلسلة كتاب الأمة ، ط1، 2002، ص105.

[2]- ينظر: إبراهيم نصر الله : شرفة الهاوية - رواية- ، ص314.

ثانيا: سقوط المثقف

1- الوزير وغواية السلطة :

سلمان بيك، المحامي النقابي، أو الوزير المتنفذ، يستجيب ببساطة بالغة لإغواء السلطة. كان في البداية محاميا"... قبل أن يصبح وزيرا، فمليونيرا كبيرا. مساهما في عدد من الشركات، ومن بينها تلك الجامعة الخاصة ..." [1] التي كانت تدرس فيها ابنته ردينة. عمل مع الحكومة ذلك أنه كان علي دراية تامة بالقانون، طلب منه أن يعمل في الدائرة من طرف مدير الدائرة شخصيا ،"...نحن بحاجة إليك في مهمة واحدة لا غير ...نريدك أن تساعدنا في التحقيق مع أعداء اليسار وأعدائنا، أعداء الوطن والأمة، ومن يسيئون لصورتنا الحضارية في العالم !...وبعد هذه المهمة سأعينك وزيرا! ولك أن تختار الوزارة التي تريد ...بعدها رئيسا للوزراء..." [2].

سلمان ينجح في المهمة المكلفة إليه، ويبلي فيها بلاء حسنا! ويحصل بذلك على مكافآت في نهاية مهماته،"... في عدة مشاريع سرب إليه أنها ستكون ناجحة يمكن القول عنها غير منظورة، مثل قطع أراضي كانت على وشك دخول التنظيم !" [3].

ركض خلف العقارات، تلقى العديد من المكافآت الأخرى على أعماله وأودع أمواله في البنوك فمن يعرف الغد مع واقع اقتصادي متذبذب، لا يرى لفرط سرعته. لقد كان مهووسا بأمواله وممتلكاته، وبالمقابل يزعم أنه ينخرط في مشكلات المجتمع ويمثل مصلحة الشعب، وهذا بتوظيفه سائق محترم بطلب من أحمد مدير مكتبه:"...أظن أن من الجيد بين الحين والأخر، أن تثبت للناس أنك معهم ، وليس هناك أبلغ من تعيين ابن شهيد سقط علي أرض فلسطين، يابيك!... فعمل الخير يسعد المرء كثيرا!!" [4] في حين

---

[1]- إبراهيم نصر الله : شرفة الهاوية - رواية -، ص12.

[2]- المصدر نفسه: ص26.

[3]- المصدر نفسه: ص112.

[4]- المصدر نفسه: ص113.

أنه يسقط تطلعاته وأوهامه علي غيره، بتوهمه أن ما يتطلع إليه أو يحلم به وهو نفس ما يفكر فيه الناس أو يعانون منه.

الوزير يزاول مهنته متلبسا عباءة الرسالة، ويؤدي دوره تحت غطاء القداسة معتبرا أنه يدافع عن القيم العليا، "متوهما أنه ينطق باسم المشروعية الحقة بالحفاظ علي الهوية والأمة. ولكن تحت الترفع ثمة موقع راسخ ، ووراء التجرد هناك مصلحة ومنفعة" [1].

هذا الوزير أغرته السلطة فكان ينفذ من أجل تنفيذ صفقاته ومساومات "لمصلحة مشاريعه،"...إذ عرض عليه رجل متنفذ أن يدخل في عدة مشاريع، شرط أن يكون للمتنفذ ذاك ...من الأرباح المستقبلية في بعض المشاريع ...ومن بينها تلك الجامعة الخاصة التي استطاعوا انتزاعها من مالكها الأصلي عبر سلسلة من المعيقات ..." [2]

المكافأة الكبرى التي يحصل عليها والمتمثلة في تعينيه وزيرا، وهذا المنصب أقصى ما يمكن أن يصل إليه من مناصب.لا يتعلق الأمر هنا بقدراته، بل بوزنه الاجتماعي، فهو في هذه الحالة يمكن تسميته المثقف السلطوي، الذي راهن على وجوده تحت السلطة بكل عنفوان، وتسلق كل أغصان السلطة وجدرانها من أجل الوصول إلى غايته، فتموقع بين لعنة وغفران، وملاك وشيطان،"... فالمقعد الوزاري الذي اختاروه له واحد من أكثر المقاعد التي تطل على المشاريع الكبيرة، الكبرى! ولن يفهم سلمان بالإشارة، رغم كونه لبيبا إلا فيما بعد، أن هذا المقعد محجوز لواحد من اثنين، شخص لا يمكن المساس به ، نظرا لوزنه الاجتماعي، وشخص تسهل الاستفادة منه أكثر من الأول بكثير، وتسهل التضحية به إذا ماجد الجد . وكان يعرف أنه من الصنف الثاني تقريبا! " [3] ، اتفق مع أحد رؤساء الشركات الأجنبية المرشحة بقوة لتنفيذ المشروع

---

[1]- علي حرب : أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء /بيروت، ط3، 2004، ص58.

[2]- إبراهيم نصر الله: شرفة الهاوية - رواية -، ص114.

[3]- المصدر نفسه: ص122.

...لكي يضع شرطا جزائيا على الحكومة، إذا ما تراجعت عن تنفيذ المشروع "[1] لكن سلمان يعتبر كل الأشياء مقبولة، بل حلالا باستثناء شيء واحد هو الخداع، بمعنى خداع الدولة والشعب.

بهذا نجد أن السلطة قد نجحت في غوايته واحتوائه، فيدخل اللعبة ويبرم الصفقات على حساب أنه يدعي القيام بحماية مصالح الدولة وتحريرها، لكنه يبحث عن السلطة والصراع سعيا وراء النفوذ، وبحثا عن الأفضلية وتطلعا إلى الهيمنة، والسيطرة ، يدعي التجرد والنزاهة دفاعا عن الأمة ومصالح الناس فيما هو يمارس مهنته ويدافع عن مصلحته. كان ذلك المشروع الذي وقع عليه بمثابة الحلم "... جعله غنيا بما يكفي لأن لا تغريه الوزارة، أي وزارة، مادام جيبه امتلأ بكل هذه الملايين، ومادامت كلمة معاليك أو معاليكم قد غدت لقبا له إلى يوم يبعثون !... " [2].

لم يكتف سلمان بذلك المنصب ولا بتلك الأموال، بل تطلع إلى ذكريات وأحلام غيره اشتراها ليتباهى بها ويرويها في سهراته باعتبارها من مغامراته"...لم يكف هذا الرجل كل ما سرق فامتدت يداه حتى إلى قصص الآخرين، حياتهم وسرقها ، ادعاها اغتصبها..." [3] لكن في النهاية يجد نفسه فارغا، لا يعرف موقعه مع أنه في جسده. وتكمن مشكلته بعد كل ما جرى من انهيارات أصابته بمعرفته أنه خدع، لم تعد مع الواقع، ولا مع الدول، بل هي مع أفكاره بالدرجة الأولى، إنها تكمن بالتحديد في طرائقه العقيمة أو الفاشلة في التعامل مع الحقيقة التي يدعى النطق بها. ويصاب في الأخير بالشلل"...كما لو أنه سلحفاة فقدت درعها!" [4].

---

[1]- إبراهيم نصر الله: شرفة الهاوية - رواية -، ص ص 122، 123.

[2]- المصدر نفسه : ص 126.

[3]- المصدر نفسه: ص 294.

[4]- المصدر نفسه: ص 326.

وبهذا نجد أن السلطة عادة ما تقترن بالفساد، معيار إنساني وقاعدة يندر أن نجد فيها استثناء، فالنفس البشرية التي خلقها الله سبحانه وتعالى ضعيفة أمام غواية السلطة .وذات الغواية هي في نهاية الأمر قاتلة أصحابها. فسلمان لا يهمه شيء سوى السلطة فهذه الأخيرة هي حلمه؛ لأنها تتعلق بالامتيازات والمكانة السامية والثروة، وهي بذلك تنقله من مرتبة إلى مرتبة عليا، فالسلطة عنده تنبني على المنفعة المادية، وأيضا المتعة الوجدانية .

2- الأستاذ المعرفة وواقع النخبة :

الدكتور كريم، الأستاذ الجامعي، الجذاب والمتربص بالفتيات، والعاشق للكثيرات منحه الله جمالا وعفوية سلبت قلوب النساء، "...له قدرة غريبة معهن... بحيث يمكن أن يحول ابتسامات امرأة متزنة إلى قهقهات...إنه زير النساء الأول في البلد!..." [1]حيث أن له تاريخ من المغامرات العاطفية، لتكون إحدى تلك المغامرات سببا في هلاكه ففقد وظيفته كمحاضر في إحدى الجامعات الخاصة، التي يمتلكها سلمان بيك، فلم تشفع له لا شهادته ولا خبرته في المجال، فأصبح عاطلا عن العمل، ولم تقبل أي جامعة توظيفه فالحكاية انتشرت بسرعة، وهي تلك الفضيحة التي كان بطلها "...حكايته أكثر من شهريار! مغامراته تملأ مجلدات ..." [2]

هذا الأستاذ له قدرة عجيبة في طرح الأفكار، فكل فكرة لها مبتغى عنده ولها هدف، يعطي الحق لكل طالب في التحدث وإبراز وجهة نظره، "...يهز رأسه موافقا ومفسحا المجال للآخرين لكي يدلي كل منهم بدلوه ..." [3]، يحلل ويوضح أدق التفاصيل ودائما ينبه طلبته إلى الانتباه لكل الأشياء والتفاصيل. لكنه كان مولعا بالطالبات يجاملهن ويغازلهن، فقد كانت له علاقات كثيرة معهن ،"... فإحدى العلاقات أوشكت أن تدمر

---

[1]- إبراهيم نصر الله: شرفة الهاوية - رواية -، ص 19.

[2]- المصدر نفسه: ص20.

[3]- المصدر نفسه: ص39.

حياته الأكاديمية مبكرا، إذ تعلقت به إحدى الطالبات، وكان يلتقيها في مكتبه، بل ويغلق المكتب غير عابئ بشيء ..." [1]. وكل هذا بسبب أناقته الدائمة، فأصبح يطلق عليه أمير الجامعة هذا أولا، وثانيا فصاحته وعمقه في الكلام، وثالثا ثقته التي لم تكن في الحقيقة أكثر من رأى اتخذه واطمئن إليه ووثق به :"... وبات كل كلام مختلف بالنسبة له مجرد محاولات غير مجدية لدحض هذا النمط من الإيمان "[2]

من بين تلك الطالبات التي رمته بعيدا، الطالبة نهى التي أوقعته في فخ صغير، يصفها كريم : "... كذبة صغيرة، حملتها بنفسي ، وأوصلتها لذلك الذي سيقطع عنقي، كنت أشبه بطرفة بن العبد، ذلك الشاعر الذي حمل كتاب إعدامه بيده ..." [3] فهي قد سببت له من المتاعب أصعبها بحيث يمكن أن ينطبق عليه بيت الشعر العربي : إن البعوضة تدمي مقلة الأسد! ..." فقد نجحت في التهامه مرتين : مرة أمام الطلبة بذكائها المفرط، ومرة بدهائها حين جعلته يركض للوقوع في فخ سلمان بيك "[4]؛ لكن هذا الأخير يقرر إرجاعه وإعادته إلى العمل عند سماعه أنه المتحرش جنسيا في جامعته، مقابل أن يكتب له عن مغامراته الجنسية، التي عاشها عبر مساره الجامعي داخل البلاد وخارجها. سلمان يريد شراء تلك المغامرات لينسبها إليه، فالجامعة التي أرجعه إليها جامعته "...يرفعه متى أراد ويلقي به خارجها متى أراد..." [5].

كريم لم يكن أستاذا جامعيا فقط، فقد كان زوجا لسنتين وأبا ليومين، ومغامرا حتى الآن، شرها مفتونا بالنساء، فالمرأة عنده تعد أكثر من مغامرة بحاجة إليها . هو كان مثل ذلك الذي يقتل من أجل القتل، وهو ينفي حقيقة واضحة كالشمس، وهو أنه أستاذ نخبة

---

[1]- إبراهيم نصر الله: شرفة الهاوية - رواية -، ص 54.

[2]- المصدر نفسه: ص71.

[3]- المصدر نفسه: ص66.

[4]- المصدر نفسه: ص207.

[5]- المصدر نفسه: ص87.

بمعنى هو مصباح ينير الطريق للأجيال، فهو بالنسبة لهم يمثل المعرفة. لكن كان العكس فكل العلاقات التي مارسها لم تكن تعني له شيئا، فلا يوجد صفة يمكن أن تطلق على رجل يبيع قصص حبيباته بهذا الثمن، لقد خانهن عندما قدم حكايتهن لسلمان بيك، فما الفرق من بيع قصصهن وبيع أجسادهن.

هنا نجد أن الشهادة الجامعية لا تعبر تماما عن القيم الفكرية لصاحبها، ولا يمكنها أن تجعل منه مثقفا بالمفهوم الصحيح للكلمة؛ فمن جهة همه إشباع رغباته، وشهواته ونزواته ...، ومن جهة أخرى ما يمكن أن يحصل عليه ماديا، أي حجم الراتب الذي يتلقاه فالأستاذ الجامعي نسي كل القضايا الأساسية وأصبح همه الوحيد هو الأجر.

كريم الأستاذ الذي يعتقد أنه قادر على أن يغرم بأجمل طالباته لقاء منحهن العلامة الكاملة في امتحاناته. كريم ليس إلا مركب من نرجسية قاتلة، قادته أن يكون مسخرة أمام طلابه، وبهذا يسقط الأستاذ الذي يرى نفسه الأجمل، والأذكى، والأكثر جاذبية.

3- المحامية وغياب العدالة :

المحامية ديانا زوجة سلمان بيك الوزير، تعد إحدى الشخصيات المحورية في الرواية، أباها شخص مثقف ومولع بالأساطير، "...سماها ديانا على اسم آلهة القمر والصيد، والغابات عند الرومان القدماء !..." [1]. تشارك في المظاهرات التي تطالب بفك الحصار عن العراق، وتعد إحدى تلك المظاهرات السبب في لقائها الأول بسلمان فيعجب بها ويفتن بصورتها، ومن ثم يتقدم لخطبتها، "...لا تبدو ديانا هذه بعيدة عن الثلاثينات إذ تبدو ممشوقة بصورة مذهلة ..." [2]

كانت تعمل في مكتب واحد من أفضل المحامين، تركز كل طاقتها في العمل لكنها لم تصل إلى النتيجة التي تقول: من يرى مصائب غيره تهن عليه مصيبته! إذ اكتشفت أن ذلك كلام فارغ لا معنى له، كلام مراوغ لا يقوله سوى من ليس لديه مصيبة.هي

---

[1]- إبراهيم نصر الله: شرفة الهاوية - رواية -، ص 125.

[2]- المصدر نفسه: ص205.

محامية تتقن تحقيق العدالة للآخرين، لكنها بالمقابل تتقن افتقادها لتحقيق العدالة لنفسها فتعترف بذلك فتقول :"...أسوء ما يمكن أن يحدث للإنسان حدث لي! أن يعرف تماما حقوق الآخرين ويدافع عنها، ولكنه يعجز عن الدفاع عن حقوقه! وفي كل إنسان جزء من هذا الأمر للأسف، أحيانا يزيد فيبتلع الإنسان، وأحيانا يقل فيبتلعه الإنسان في لعبة الاستعماء التي يمارسها مع نفسه ..." [1].

كما أنها ضائعة تبحث وتفتش بين حين وحين عن نفسها لكنها لا تجدها، وهذا يؤكد أنها في وجهتها النفسية حالة غير مستقرة، وتفتقر للأمان الداخلي، وتفتقر للثقة بالنفس والصورة الايجابية تستنفذ طاقتها في البحث المستمر عما يرفع مستوى الرضا عن النفس، " فهي تحس بأن نوعا من اليأس قد أصابها، لفرط ما سمعت، وعايشت من مآسي، وأن كل ما حدث لها من أحداث جعلها تنظر وتحس بقضيتها، باعتبارها قضية امرأة أخرى" [2].

ديانا هذه " تربح كل قضية تتولاها، وتخسر قضيتها الخاصة كل يوم، مع أن الزمان أعطاها فرصا كثيرة، وأدلة جديدة، لكي تستأنف من جديد وتكسب ..." [3] وقضيتها هي حياتها التي تعيشها مع سلمان بيك، تنفذ كل مطالبه التي يطلبها، حتى حقها في إنجاب الأولاد، نفذته، إدعاء منها أنها هي التي تريد ذلك فتصارح أمها قائلة :"...الشيء الوحيد الذي لا أريده هو أن أنجب من سلمان !..." [4].

فأمها تطلب منها تحقيق العدالة لنفسها، هذه الأخيرة التي تدعوا إلى الثورة علي كل وضع راهن ظالم ، لكن ديانا ترى بأن بعض الأشياء تحتاج إلى وقت، فالعدل عندها

---

[1]- إبراهيم نصر الله: شرفة الهاوية - رواية -، ص 127.

[2]- ينظر المصدر نفسه: ص273.

[3]- المصدر نفسه: ص168.

[4]- المصدر نفسه: ن.ص.

ليس واقعا يمكن تكوينه في صلب قالب معين، ولكنه مثل أعلى يجهد صـــاحبه لبلوغـــه وتحقيقه عند تحديد العلائق الاجتماعية، وتعيين قواعد سلوك الأفراد والجماعات

ديانا في حياتها تغيب العدالة التي هي "...كرامة الإنسان، حقه فـــي الحيـــاة، فـــي العمل، في الاختبار، فالأصل أن يكون له الحق في كل هذه الحقوق ..." [1]، عدالة هـــذه الحياة التي تخجل من عرض تفاصيلها على أحد، بل حتى على نفسها "[2].

ديانا باعتبارها أحد المثقفين، ألغت دورها بنفسها، فقد عملت علي نفي الوقائع فـــي عالم الواقع. وغياب العدالة يعيق النخبة عن القيام برسالتها والشعور بمسؤوليتها ويلهب بالحرمان والخيبة نفوسها .

سقطت النخبة إذن ولكن ليس بمعنى أنها اختفت ولم تعد قائمة، وإنما بمعنى أنهـــا فقدت دورها في القيادة، والوصاية وتلاشت تبعا لذلك رمزيتها التقليديـــة، التـــي كانـــت تملكها من قبل..." [3]. لقد عم عليها الفساد، هذا الأخير الذي يعد أحد العوامل الأساســـية في الانهيار والسقوط. وهاهي الثورات التي يعرفها العالم العربي أو ما يسمي بثـــورات الربيع العربي ترفع من الفساد شعارا لها، هذا الذي طال العديد من القطاعات والأجهزة في مختلف دول العالم، فقد مست هذه الظاهرة النخب من مسؤولين وفاعلين اجتمـــاعيين استغلوا المناصب التي يتمتعون بها، والصلاحيات التي منحت لهم، واستغلالها لأغراض ومصالح شخصية .

سقط المثقف سقوطا معنويا، أو معنويا وجسديا بشكل من الأشكال وهـــذا الســـقوط دليل على انحدار قيم المعرفة واستهتار بالثقافة والإبداع، وارتسام الواقـــع بكثيـــر مـــن الملامح البشعة، ذلك المثقف الذي تخلى عن مبادئه ومثله العليا، وانزاح عن جمـــاهيره

---

[1]- إبراهيم نصر الله: شرفة الهاوية - رواية -، ص 72.

[2]- المصدر نفسه: ص82.

[3]- عبد الله الغذامي: الثقافة التليفزيونية- سقوط النخبة وبروز الشعبي- ، المركز الثقافي العربي، الـــدار البيضـــاء، ط2، 2005، ص11.

ليلحق بركب الأتباع، كي يحقق مصالح نفعية، ما تلبث أن تزول بسقوط السلطة، هذه الأخيرة التي علاقتها بالمثقف علاقة تبعية وفي بعض الأحيان علاقة الانتهازي بالحاكم.

فالروائي بتقديمه لهذه الشخصية الروائية، طمح إلى تقديم شخصية المثقف العربي في نظام قمعي، فرصد العلاقة بينهما، ليكشف من خلالها الواقع القاسي الذي يدمر الإنسان، ويحوله إلى مجرد عبد وبذلك تمكن من توسيع ظاهرة الفساد الاجتماعي من المستوى الفردي إلى المستوى الجماعي. وهو ناتج عن اهتمام الروائي الملحوظ بتجليات الواقع الاجتماعي الذي اتخذ مواقف ضمنية، جسدت عداء واضح المعالم لمظاهر الاستغلال والسلوكيات اللامقبولة أخلاقيا السائدة في المجتمع.

خاتمة

خاتمة

بعد الدراسة التي قمنا فيها بمعالجة النخبة ومصيرها في رواية "شـــرفة الهاويـــة" للروائي إبراهيم نصر الله توصلنا إلى جملة من النتائج أهمها:

- مفهوم النخبة يبقى واحدا من المفاهيم الدينامية التي تتميز بطابع الإنفتـــاح الشـــامل والدائم على مختلف المحاولات العلمية، ومثل هذا المفهوم يأخـــذ مكانـــه فـــي دائـــرة التحولات الاجتماعية والسياسية فمفهوم النخبة يعبر عن واقع سياسي شـــديد التغيـــر، وبالتالي فإن عملية ضبط المفهوم تحتاج إلى يقظة علمية مستمرة ودائمة للكشف عـــن معطياته ومستجداته.

- يعد إبراهيم نصر الله من الروائيين الذين تتميز أعمالهم بطابع خاص، ففي أعمالـــه نجد التفاعل مع الأحداث السياسية والاجتماعية.

- تعد رواية "شرفة الهاوية" من الروايات التي حاولت تصوير قبح اجتماعي وسياســـي في إطار فني محكم.

- زمن السرد في الرواية زمن مختلط استخدم فيه الروائي عملية التقـــديم والتـــأخير، وذلك رغبة منه في إشراك المتلقي وتحفيزه على المساهمة في إعـــادة بنـــاء وإنتـــاج النص، فتكون لديه معرفة مسبقة عما سيحدث.

- رواية شرفة الهاوية عالجت فشل المثقف وضياعه وانهزاميته في المجتمع.

- بدت الشخصيات المثقفة في الرواية انهزامية فاشلة، غير قـــادرة علـــى المقاومـــة وإحداث التغيير، وكان مصير معظمها مأساويا.

- رصد إبراهيم نصر الله صورة وشخصية المثقف في الرواية وفـــق حركـــة الواقـــع الراهن.

- تخلى المثقف عن دوره المجتمعي، والمفترض أن يكون متمثلا في التصدي للقضايا المفصلية في حياة مجتمعه وأمته، وأن يكون طليعة عند المواجهة. أصـــبحت أدواتـــه ديكتاتورية محضة، فقد تخلى عن ذلك الدور المنوط به، والمأمول منه وأصـــبح همـــه

الوحيد السلطة هذه الأخيرة التي في نظره ستحقق له المكانـــة والرفاهيـــة والمصـــالح الشخصية.

- أصبح المثقف رجلا يقوم بأداء مهنة من المهن في مجتمع تمثل فيه النقـــود القيمـــة العليا، وبمجرد أن يصبح الفرد من هؤلاء عبدا للمال يتجرد من كونه مثقفا.

وفي الأخير نجد أن الروائي في روايته عالج شخصية النخبة بكل احترافية ودقة وكانت هذه الشخصية مطابقة للواقع الاجتماعي والسياسي، بالإضافة إلى أنه برع في تصـــوير وتجسيد الواقع الاجتماعي للشخصيات المثقفة، فكانت روايته "**شرفة الهاوية**" أنموذجـــا رائعا في تصوير ما آل إليه المثقف أو النخبة .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

أولا: المصادر:

1- إبراهيم نصر الله: شرفة الهاوية- رواية- ، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط2، 2014

2- إبراهيم نصر الله: شرفة الهذيان - رواية-، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 2005.

ثانيا: المراجع:

أ/ المراجع بالعربية:

3- إبراهيم أبراش: علم الاجتماع السياسي، دار الشروق، عمان، د ط، 1998.

4- ادريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2014.

5- أحمد مرشد: البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د ط، 2005.

6- جابر عصفور: مواجهة الإرهاب، قراءة في الأدب المعاصر، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، 2003.

7- زكي العليو: مداخل التعريف والأدوار، الإنشار العربي، بيروت، ط 1، 2009.

8- حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، د ط، 1993.

9- حسن البحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1990.

10- محمد بوعزة: تحليل النص السردي - تقنيات ومفاهيم-، الدار العربية للعلوم بيروت، ط 1، 2010.

11- محمد مصايف: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ط 2، 1984.

12- منير حميد البياتي: حقوق الإنسان، سلسلة كتاب الأمة، قطر، ط 1، 2002.

13- نضال الصالح: النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، منشور اتحاد العرب، ط 1، 2001.

14- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير) المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 3، 1997.

15- عبد الحليم الزيات: سيسيولوجيا بناء السلطة، الطبقة، القوة، الصفوة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط، 1990.

16- عبد الله الغذامي: الثقافة التلفزيونية-سقوط النخبة وبروز الشعبي-، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 2، 2005.

17- عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب السردي -معالجة تفكيكية سيميائية مركبة -، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 1995.

18- عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية - بحث في تقنيات السرد-، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، 1998.

19- عبد المنعم زكرياء القاضي: البنية السردية في الرواية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط 1، 2009.

20- عبد السلام حيمر: في سيسيولوجيا الثقافة والمثقفين، الشكيلة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط 1، 2009.

21- عبد السلام الشاذلي: شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1985.

22- علي حرب: حديث النهايات فتوحات العولمة ومآزق الهوية، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، ط 3، 2000.

23- علي حرب: أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، ط 3، 2004.

24- صالح مفقودة: أبحاث في الرواية العربية الحديثة، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، الجزائر، د ط، د ت.

25- صبحية عودة زعرب: غسان كنفاني (جماليات السرد في الخطاب الروائي) دار ماجدلاوي، عمان، ط 1، 2006.

26- قاسم سيزا: بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د ط، 1984.

27- شريبط أحمد شريبط: تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة (1985/1947)، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، د ط، 1998.

ب- المراجع المترجمة:

28- ادوارد سعيد: المثقف والسلطة، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2006.

29- أنريكي أندرسون: القصة القصيرة (النظرية والتقنية) تر: علي إبراهيم علي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، د ط، 2000.

30- جان بول سارتر: دفاع عن المثقفين، تر: جورج طرابشي، منشورات الآداب، بيروت، ط 1، 1973.

31- جيرالد برنس: المصطلح السردي، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، د ط، 2003.

32- رولان بونوروف، ريال أونيليه: عالم الرواية، تر: نهاد التكرلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط 1، 1991.

33- توم بوتومور: الصفوة والمجتمع -دراسة في علم الاجتماع السياسي-، تر: محمد الجوهري وآخرون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط، 1988.

ج- المعاجم:

34- أحمد زكي بدوي: معجم المصطلحات السياسية والدولية، دار الكتب المصرية، د ط، 1989.

35- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتب الشرق الدولية، القاهرة، ط 4، 2004.

36- الميداني أبو الفضل: مجمع الأمثال، تر: محي الدين بن عبد الحميد، دار النصر، دمشق، ط 1، د ت.

37- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 4، 2005.

38- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 2008.

39- الفيروز أبادي: القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 8، 2005.

د/ المجلات والدوريات:

40- إسعاف حمد: المثقف العربي - إشكالية الدور الفاعل-، مجلة جامعة دمشق، العدد 3-4، 2004.

41- بعيطيش يحيى: خصائص الفعل السردي في الرواية العربية الجديدة، مجلة كلية الآداب، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، العدد 8، جانفي 2011

42- برهان غليون: الأنتلجنسيا والسياسة والمجتمع، مجلة دار الاجتهاد، بيروت، العدد5، 1989.

43- جورج طرابشي: من المثقفين إلى الأنتلجنسيا، مجلة الوحدة، العدد 40، 1988

44- جمال علي زهران: تأثير الأوضاع المجتمعية على المثقف العربي، مجلة الوحدة، العدد 40، 1988.

45- جميلة قيسمون: الشخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 13، 2000.

46- حسن شوندي، آزاده كريم: رؤية إلى العناصر الروائية، فصيلة دراسات الأدب المعاصر، السنة الثالثة، العدد 10، 1390هـ.

47- معن حمدان علي، النخبة السياسية، مجلة النبأ، العدد 97، 2005.

48- نديم النصاري: المثقف العربي والسلطة، مجلة الوحدة، العدد 10، 1985.

49- سعيد شبار: في مفهوم النخبة... ودور الوسيط او المصادر الثقافية، مجلة فكر ونقد، العدد 27، 2000.

50- عبد الله بريمي: موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، إبراهيم نصر الله: الأدب تنقية للذاكرة وألسنة للتاريخ، ج 4.

51- عبد الغني سلامة: رواية ما بعد الحداثة... الإنسان وأزماته في شرفاتإبراهيم نصر الله، مجلة الحياة الجديدة، العدد 6340، 2013.

52- علي أسعد وطفة: في مفهوم النخبة _مقاربة بنائية_ مجلة نقد وتنوير، العدد 1، 2015.

هـ/ الرسائل الجامعية:

53- علي بن مسعود بن احمد العيسى: تنمية القيم الأخلاقية، رسالة ماجيستير، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، المملكة العربية السعودية، 1430/1429.

54- فضيل حضري: تشكل النخبة الدينية في الجزائر _دراسة ميدانية بمنطقة تلمسان، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، الجزائر، 2013/2012.

و/ المقالات الإلكترونية:

55- زاهر زاكار: الصفوات وتأثيرها في المجتمع www.minshwi.com

56- محمد عبد القادر: إبراهيم نصر الله في شرفة الهاوية: مرارة الواقع في مرايا فاوست www.alquds-co-uk

57- عمر عبيد حسنة: مفهوم النخبة وفق المنظورين الإسلامي والغربي http// liprary.islam web.net

ز/ المواقع الالكترونية:

58- http/har-wikipedia.org/w/

ملحق

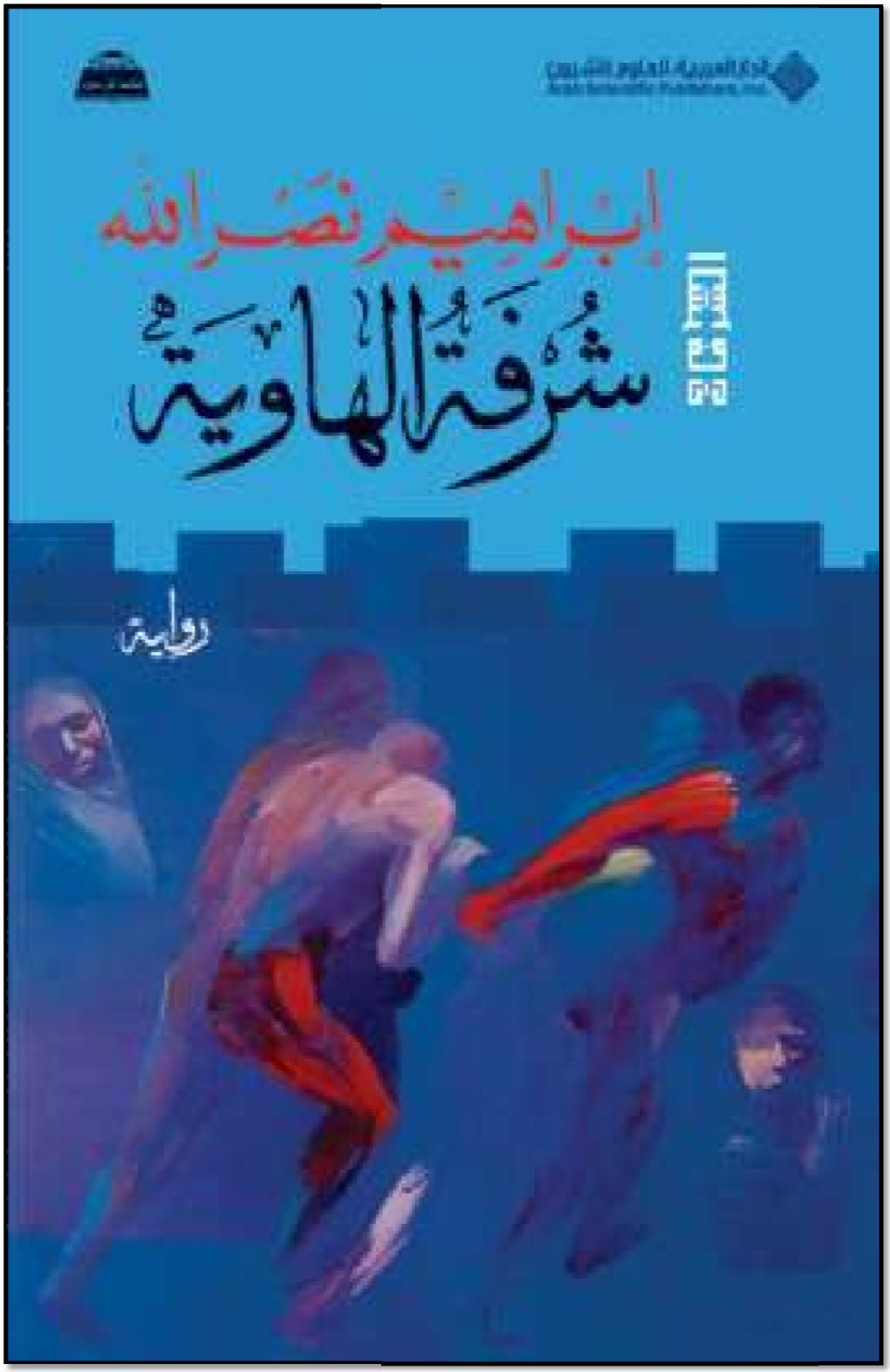
إبراهيم نصر الله
شرفة الهاوية
رواية

ملخص الرواية (شرفة الهاوية لإبراهيم نصر الله)

انتقلت نهى إلى عمان لإكمال دراستها في الجامعة ، كانت تسمع عن أستاذ كان يلقب بأمير الجامعة وعدة صفات أخرى اسمه الدكتور كريم، وفي سنتها الثالثة استأذنته ليسمح لها بحضور واحدة من محاضراته فتعرف على اسمها وسمح لها بالحضور فاختارته أستاذا محاضرا لها في العام الموالي وكم فوجئت أنه لا يزال يذكر اسمها وفي محاضراته كان شديد الاهتمام بها وفي أول امتحان دس تحت ورقة إجابتها ورقة صغيرة فيها رقم هاتفه فلم تتصل به، وعند إعلان النتائج وجدت أدنى علامة أخذتها منذ بدأت الدراسة، وعاود الكرة مرة أخرى دس رقمه تحت ورقة امتحانها ولكن بدون جدوى، في هذا الفصل تعرفت على صديقة اسمها ردينة فتوطدت علاقتهما وتبادلا الزيارات.

لم يطل الوقت حتى سمعت نهى بعلاقات الدكتور كريم بطالباته حتى أنه يغلق عليهم في مكتبه، فأصبحت أكثر حذر منه منذ ذلك اليوم، بدأت نهى بالمطالعة وقراءة كل الكتب في مكتبة تخصصها لكي تجابه الدكتور كريم وتبارزه بآرائها وتثبت نفسها أمامه ولكن رغم هذا أعادت المادة بسبب مكره وقلة حيلتها، وفي إحدى الأيام استدعاها إلى مكتبه وفي تلك اللحظة التي يتكلم فيها مع أحمد سائق سلمان قالت له وبسرعة بديهة أنه سائق خالها، فتغيرت ملامح كريم وبعد خروجها غير علامتها لتصبح ناجحة فخرجت من مكتبه مسرعة لتتصل بردينة وتشرح لها الأمر وعندئذ وجدت سلمان في بيت هذه الأخيرة فواجهته وقصت عليه قصتها مع كريم فقال:" الحقير كان يمكن أن يتحرش بابنتي."

طرد الدكتور كريم من الجامعة بسبب الفضيحة التي تعرض لها مع الطالبة نهى وأصبح بدون عمل فلم تقبل به أي جامعة، وفي إحدى السهرات لمحه سلمان يتحدث مع إحدى النساء فائقات الجمال، فسأل عنه مسير مكتبه فقال له أنه الدكتور كريم الذي

طرده من الجامعة وأنه زير نساء الأول في البلاد وأن له حكايات كثيرة فأمره أن يحضر عنه تقريرا ورقم هاتفه.

وفي اليوم التالي استدعاه إلى مكتبه، وأخبره أنه سيعيده إلى الجامعة، مقابل أن يكتب له حكاياته ومغامراته مع النساء وهذا لكي يستغلها سلمان أمام أصحابه في سهراتهم وينسبها إليه كأنه هو الذي عاشها، فخصص له مكتب في جبل اللوبيد وبعد أسبوع أمره بإرسال الحكاية الأولى.

وتأتي الشخصية النسوية الأبرز ديانا المحامية، هذه الأخيرة التي تقدم لخطبتها كثيرون ولكنها لم تعد مهتمة بفكرة الزواج بعد أن عاشت قصة حب مع أحد زملائها وفي أحد الأيام جاء سلمان لخطبتها وحينها أعجبت بفصاحته فكان ردها بالقبول فتزوجا وقاما بإنشاء مكتب محاماة مشترك، وبعد انتقاله لعمله الجديد كمحقق، هذا العمل الذي عرضه عليه رئيس الدائرة والذي دام عامين وبعدها وعده بتعيينه كوزير في أي وزارة يختارها سلمان ويرتاح فيها وممكن حتى أنه سيعين كرئيس وزراء مع الأيام، وبالفعل وبعد انتهائه من مهامه عين كوزير، واستغل منصبه كوزير لينهب أموال الدولة من الصفقات التي يبرمها مع الشركات الأجنبية قرر بعدها أن يفك الشراكة التي تجمعه مع زوجته في المكتب، حينها قام بجر كل شيء حتى أدوات المطبخ والتنظيف فاندهشت ديانا وقررت بعدها أن تطلب الطلاق، ولكن ككل مرة تتراجع عن قرارها وتعجز عن الدفاع عن نفسها أمامه.

بدأ كريم بكتابة قصته الأولى لسلمان والتي جرت أحداثها في تونس وأثناء كتابتها تذكر زوجته التي دام زواجه بها عامين وتوفيت أثناء ولادتها لابنه الذي اعتبره ميت هو كذلك وكان يحلم أن يضمه ولو مرة. واجهت ديانا مشاكل ومفاجآت مع سلمان بسبب تصرفاته وأنانيته فقررت فصل غرفة نومهما لينام كل في غرفته، وفي إحدى الأيام حاول سلمان أن يستجمع أفكاره وذكرياته ليرويها أمام مجموعة السبعة الكبار بدل استعراض مغامرات ليست له ولكنه لم يجد إلا تلك اللحظات التي وبخته فيها أمه

بسبب الدماء التي تجدها كل مرة تغسل فيها ثيابه وأما عن أيام الجامعة فتذكر تلك الفتاة التي كسرت قلبه برفضها له؛ لأنها لا تبادله نفس شعوره فلم تكن ذكرياته ذات شأن وكانت ستضعه محل سخرية أمام ضيوفه، فأصبح يبرر فعلته باشتراء حكايات غيره.

وفي سهرة تلك الليلة كان سعيدا جدا بإلقائه لحكاية كريم، التي كانت في تونس وسهرة أخرى روى فيها عن طالبة من أم فرنسية وأب عربي والتي ألقاها على الحضور كريم نفسه بدلا منه وهكذا كل سهرة بحكاية.

وفي هذه الأثناء تعكر الجو بين ديانا وسلمان وذلك لأنه جاء لها بملف يشمل على كل صغيرة وكبيرة جرت بينهما من مشتريات الخطوبة إلى يومهم ذاك فصعقت من هول المفاجأة فنزعت خاتم الزواج ولم تسمح له بالاقتراب منها بعد ذلك، وفي إحدى الليالي خرجت هي وصديقتها فيروز لإحدى الحفلات التكريمية وهناك أعجبت بكريم وبلاغته فتعرفا على بعضهما وذات يوم اتصلت به وبعدها أصبحت تزوره في منزله كما كانت ترتاح بجواره إلى أن عرفت أنه يعمل بالجامعة التي يملكها زوجها فسألته عن علاقته بسلمان فقال لها أنه يرسل له حكايات، وبعد أن تحققت من الأمر عرفت أن زوجها يرويها أمام أصدقائه فطلبت من كريم أن يكتبها وينشرها وهو بدوره طلبها للزواج فرفضت واختفت عنه وعن زوجها بعد ذلك.

حين عودة الدكتور كريم إلى التدريس التقى بإحدى الطالبات ظن أنها نهى أو أختها في بداية الأمر لفرط جمالها، فحاول التقرب منها وتجنب الأخطاء التي قام بها مع نهى.

اتصل سلمان بكريم وهو غاضب وذلك بسبب القصص التي أرسلها لم يجد كريم سبيل آخر سوى أن يكتب له قصص أفلام شاهدها وبعد أن قام سلمان بقصها على أصحابه تعرفوا عليها ونصحه أحدهم بعدم روايتها ثانية؛ لأنها قصة فيلم شاهده مع عائلته فكانت له صدمة واستشاط غضبا، وفي تلك اللحظة عرف كريم أنه مطرود لا محال، فقرر أن يكمل حكايته مع سامية التي لم يتوقع أنها تنتظره في غرفة الفندق

رفقة زملائها الطلبة لكي يفاجئوه ويخر بعدها صاعقا في الأرض لا يفيــق بعــدها إلا وهو فوق فراش المستشفى. وأرسل بعدها ايميل لسلمان بعنــوان "صــاحبة الكــورولا السوداء" فصدم سلمان وعرف أنها ديانا، وفي حفل توقيع كتاب كريم الذي يشمل كــل حكاياته ومغامراته كما نصحته ديانا التي لم تحضر الحفل واكتفت بإرســال باقــة ورد وبطاقة تهنئة، خرج كريم من الحفل لكي يوصل باقة الورد الى السيارة قابله رجل يريد توقيع الكتاب فطعنه طعنتين أودت بحياته.

أما عن سلمان فاقترح عليه مدير مكتبه أن يروي لسبعة كبار آخرين عن حكايات جديدة، عن تاريخ الوطن وبطولات الصبر والاحتمال فكان سلمان بيك ســعيد بفكرتــه وقرر استغلال حكايات شخص آخر لكي يذيع صيته وسط كبار البلدة.

اقتباسات من الرواية:

* من ير مصائب غيره تهن عليه مصيبته... ص 32.

* الجمال هو النعمة الأعظم التي لا نستطيع أن نغلق أبواب قلوبنا في وجهها... ص 35.

* يمكن أن يفاجئك إنسان ما، مرة فتتساءل: هل كنت أعرفه حقا؟ لكن إذا ما فاجأك عشرات المرات فإن عليك أن تتساءل: هل حقا كنت تعرف نفسك حين اقترنت به؟ إما أن يفاجئك وتترك الأمور تسير كما لو أنك لا تعرفه فإن عليك أن تعرف أنك أصدرت شهادة وفاة نفسك بنفسك... ص 101.

* أسوء ما يمكن أن يحدث للإنسان... أن يعرف تماما حقوق الآخرين ويدافع عنها، ولكنه يعجز عن الدفاع عن حقوقه وفي كل إنسان جزء من هذا الأمر للأسف، أحيانا يزيد فيبتلع الإنسان، وأحيانا يقل فيبتلعه الإنسان، في لعبة (الاستعماء) التي يمارسها مع نفسه... ص 127.

* مهما تغير الإنسان من الصعب أن تتغير ملامحه... ص 164.

* لا أظن أن إنسانا على وجه الكرة الأرضية بلا ضمير تماما، فما دام يتذكر شيئا سيئا فعله، مجرد أن يتذكر، فهذا يعني أنه لم ينس، معنى ذلك أن فيه شيئا من ضمير... ص 169.

* المدينة التي لا تضيع فيها لا يمكن أن تعرفها... ص 177.

* لا أستطيع أن أقول إن التاريخ يعيد نفسه بل البشر يعيدون الأخطاء نفسها، لأنني على يقين من أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي لا يتعلم من أخطائه باستثناء العلماء في مختبراتهم... ص 213.

* هناك معارك خاسرة نخوضها، ونهزم فيها بقسوة لا تحتملها أرواحنا، ولا مكانتنا، ولا قوتنا ولا ظروفنا، ولكننا نخوضها من جديد كلما فتحت لنا الهاوية شرفتها لنطل على نهايتها السحيقة... 213.

* هناك معارك قديمة لم تحسم، تتجدد كلما وجدنا أنفسنا في ساحة صالحة لإشعال الحرب من جديد... ص 214.

* أعتقد والعلم عند الله أن الميتين حين يجدون أنفسهم في الحفرة يبدؤون العمل فورا للخروج ولكنهم بدل أن يحفروا في الأعلى يحفرون في الأسفل انتبه لروحك... ص 217.

* من أسوء الأمور أن يكون لديك سر، ولكنك لا تستطيع البوح به لأحد، ببساطة لأنك بلا أصدقاء، أو لأن السر أكبر من أي صداقة تعتز بها... ص 220.

* لن أكون عبقريا إذا قلت أن الإصابات تكون دائما من نوع العمل: البحار يغرق أو تأكله أسماك القرش، متسابق السيارات تنحرف سيارته عن المضمار وتنقلب أو تصطدم بأخرى، عامل كهرباء يسقط من فوق عمود أو يصاب بصعقة، النجار يفقد أصابعه أو يده، البناء تنهار السقالة تحته أو تسقط الرافعة على رأسه، العداء يصاب بسكتة قلبية، لاعب كرة القدم بتلف ركبته أو كسر ساقه أو فقدان نصف أسنانه، الملاكم بارتجاج في الدماغ وهكذا... ص 275.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تشكرات	
مقدمة	2
المدخل: حول مفهوم النخبة والتجربة الروائية لإبراهيم نصر الله	
تمهيد	7
أولا: _ مفهوم النخبة والمفاهيم الملتصقة به:	8
1/-النخبة:	8
أ- لغة	8
ب- اصطلاحا	9
2/-الصفوة	12
3/-المثقف:	13
أ- لغة	13
ب- اصطلاحا	14
4/-الأنتلجنسيا	17
ثانيا: نظرة حول التجربة الروائية لإبراهيم نصر الله :	18
1 /أ_ نبذة عن إبراهيم نصر الله	18
1 /ب_ أعماله وآثاره الشعرية والروائية	19
2 /_ التجربة الروائية لـــإبراهيم نصر الله	20
الفصل الأول بناء الشخصية في رواية "شرفة الهاوية"	
تمهيد	25
أولا: تعريف الرواية:	26
1/موضوع الرواية	26
2/عنوان الرواية	27
3/معمار الرواية	28

4/إستراتيجية الرواية في شرفات نصرالله	33
ثانيا:الشخصيات في الرواية:	36
1- تعريف الشخصية:	36
أ- لغة	36
ب– اصطلاحا	38
2– أنواع الشخصية	39
3- طرق بناء الشخصية	40
الفصل الثاني جدلية المثقف والسلطة في رواية شرفة الهاوية	
أولا : تواطؤ النخبة وانهيار المجتمع	51
1/ الحدث الروائي	51
2/ أسباب الانهيار الاجتماعي:	57
أ- السرد وتجلى الواقع الاجتماعي	57
ب- تداعي القيم	60
ثانيا: سقوط المثقف	64
1- الوزير وغواية السلطة	64
2- الأستاذ(المعرفة وواقع النخبة)	67
3- المحامية وغياب العدالة.	69
خاتمة	74
قائمة المصادر والمراجع	77
الملحق	84
فهرس الموضوعات	92

تم بحمد الله

ملخص :

يدور موضوع بحثنا هذا حول سقوط النخبة في رواية "**شرفة الهاوية**" **لإبـــراهيم نصر الله**، وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على مصـــطلح النخبـــة وأهـــم المفـــاهيم الملتصقة به، والتعرف أيضا إلى بناء الشخصيات في الرواية.

بالإضافة إلى تقصي أحوال المثقف في المجتمع العربي، من خلال نماذج تمثلـــت في وزير متنفذ - سلمان-، وأستاذ جامعي- كريم- ، ومحاميـــة- ديانـــا، وكيـــف آل مصير هذه الشخصيات.

الكلمات المفتاحية: الرواية العربية، النخبة، المثقف، السلطة.

RÉSUMÉ:

*La chute de élite, dans le roman " **shorfat al hawiya**" de **IBRAHIM NASR ALLAH**, c'est le sujet de notre recherche, il vise à définir le terme de élite et les concepts les plus importants qui s'y attachent .En plus d'explorer la situation des intellectuels dans la société arabe, sous la forme d'un ministre-SALAM-, professeur universitaire- KARIM-, et une avocate-DAINA-. et comment est-il devenue leurs situation a la fin.*

***les mots clés** : le roman arabe ,de élite, l' intellectuel ,le pouvoir.*